

شبهات وردود

تأليف

الدكتور. محمد بن أحمد الجوير

دار الصميعي للنشر والتوزيع

I

ح محمد أحمد الجوير ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجوير ، محمد أحمد

السماع الصوفي : شبهات وردود / محمد أحمد الجوير - الرياض ،

١٤٣٠هـ

٠٠ ص٠٠سم

ردمك :٨-٣٠٦٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - التصوف الإسلامي ٢- الفقه الصوفي أ- العنوان

ديوي : ٢٦٨ ١٤٣٠/٤٩١٠

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٤٩١٠

ردمك :٨-٣٠٦٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع /

المملكة العربية السعودية

الرياض ص. ب : ٤٩٦٧

الرمز البريدي ١١٤١٢

المركز الرئيسي : الرياض- السويدي -

شارع السويدي العام

هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ ،

فاكس :٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم : عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ

ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨

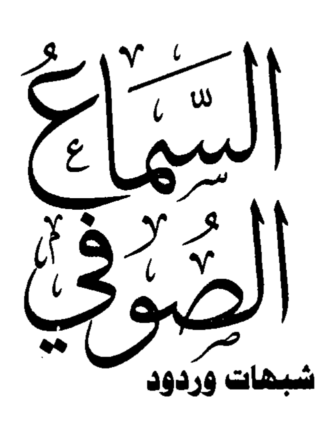
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية

/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨

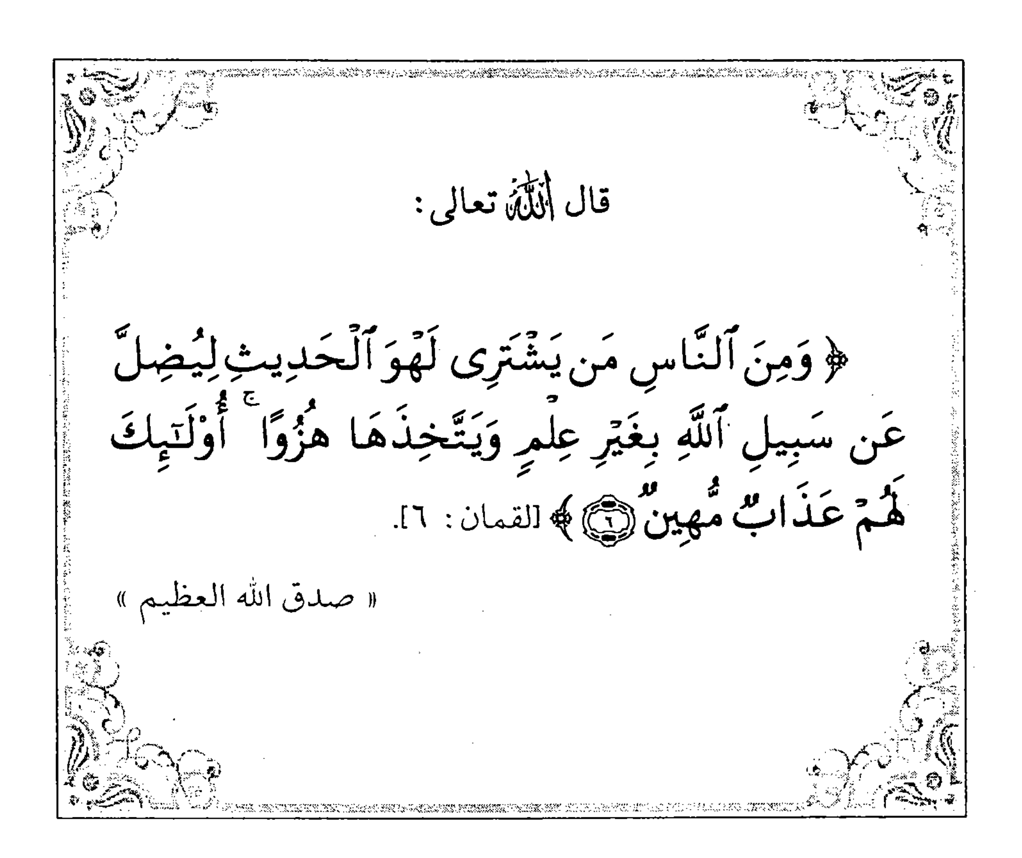
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

البريد الالكتروني :

daralsomaie@hotmail.com


السماع الصوفي
شبهات وردود





قال الله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان : ٦].

« صدق الله العظيم »



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.



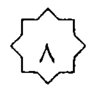
هذا فمن نعم الله علينا أن بعث إلينا محمد ﷺ وختم به الرسالة وأقام به الحجة، فحذر من البدعة تاركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

ولكن السابر لأغوار التاريخ الإسلامي بعد انتقال صفوة الخلق محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، يجد الخلافات والاضطرابات والفتن المتلاحمة التي فتكت بالأمة، فما تلبث أن تنطفئ فتنة إلا وتطل أخرى برأسها، وما أن تندثر طائفة أو فرقة إلا وتبرز أخرى متدثرة بالإسلام، كلها تكيد للإسلام وأهله المكائد والمصائب: ولعل أبرز تلك الفرق والطوائف التي ضلت (الصوفية)، التي تدثرت بالزهد والعبادة والنسك في بدء ظهورها في القرن الثاني الهجري تقريبًا، ولم تلبث أن تطورت مراحل نشأتها حتى آل الأمر بغلاتها إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود المفضية إلى الكفر والإلحاد نتيجة تأثرها بالديانات الوثنية والمذاهب الفلسفية.

هذه الفرقة تعد من الفرق التي ابتدعت سلوكيات ومعتقدات مصادمة لشعائر الدين المعروفة من الدين بالضرورة، حتى أصبحت من أشهر الفرق والطوائف المتنسبة للإسلام ابتداعًا؛ بل هي رأس المبتدعة.



وفي هذا الكتيب عقدت العزم بحول الله لتناول قضية مهمة من قضايا السلوك عند الصوفية التي عدَّوها عبادة تقربهم إلى الله زلفى تلك هي (دعوى السماع).

ولعل أول ما يتبادر لذهن القارئ معرفة مَغزى هذه الكلمة وماهيتها عند أولئك القوم.

إن المراد بالسماع الصوفي هو الغناء، مطية الزنا والخنا ليس إلا! هو الغناء وما يصاحبه من ترديد الأناشيد والألحان الغرامية المفضية إلى سلوكيات منافية للشرع المطهر، ومن تلك السلوكيات: اللطم والرقص والنط والقفز وتمزيق الثياب والصياح والزعق والتصفيق وغيره.

والمتأمل في أحوال مشايخ الصوفية، يلحظ أن هذه البدعة أعني -السماع- قد دخلت التصوف منذ وقت مبكر، إذ هيئت حلقات الذكر بيئة مناسبة لنشوء هذا السماع، ولئن كان الذكر الصوفي في بدايته يُمَارَسُ بشكلٍ فردي؛ فإنه لم يلبث أن أصبح يمارس بشكل جماعي تردد فيه الأناشيد الدينية ترديدًا موزونًا أشبه ما يكون بترنمات النصارى داخل الكنيسة.

ولو أردنا الوقوف على أصوله التاريخية، فلعل أول من أحدثه بنو إسرائيل عندما اتخذوا العجل إلهًا لهم من دون الله، فجعلوا يغنون بين يديه، ويصفقون ويرقصون، فبقي حالهم كذلك إلى أن جاءهم موسى -عليه السلام- ووقع من بعضهم ما قد ذكرها الله في كتابهم، فهو

أصل لما ذكر؛ بل إن في توراتهم ما يؤكد أن ذكر الله المفرد بالدف والشبابة ونحوها مأخوذ من عندهم، فقد جاء في المزامير « لينتهج متوجهون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا هللويا، سبحوا الله في قدسه، سبحوه برباب وعود سبحوه بدف ورقص سبحوه بأوتار ومزمار سبحوه بصفوة الهتاف »[1].

وقد يعود إلى عهود وثنية.

يقول الدكتور زكي مبارك: « الرقص والتواجد في حلقات الأذكار لا يمكن رجعه إلى أصول إسلامية صحيحة؛ وإنما هو أسلوب قديم عرفه الناس في الديانات القديمة وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ويحبون لأتباعهم أن يتقربوا إليهم بالرقص والغناء والمجون »[2].

ولكن مع مرور الزمن استبدلت هذه الأبيات بالأشعار الغزلية التي أخذ القوالون[3] ينشدونها في حلقات السماع ويحضرها المشايخ

---

(١) المزامير، الكتاب المقدس (العهد القديم) مصر: دار الكتاب المقدس ١٩٨٣م) ص(٩٣٦)، المزمور المئة والخمسون.

(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك ط٢ (مصر: دار الكتاب العربي -١٣٧٣هـ) (١/ ٣٨٤) هامش (١).

(٣) القوَّال: هو المنشد في ذلك الزمان، المطرب والمغني في زماننا هذا!!.

بصحبة النساء والمردان حتى تشكَّل السماع بمفهومه المقيد الذي كان من إفرازاته الصياح والبكاء والصراخ والصعق والزعق والتصفيق والرقص وتمزيق الثياب -كما أسلفت-.

وأمام هذه الترهات والخزعبلات الصوفية، وجدت نفسي ملزمًا لبيان حقيقة هذه البدعة المشهورة عند الصوفية من واقع مصنفاتهم وما سطرته أقلامهم، حتى تقوم الحجة عليهم.

والغاية من هذا المؤلف هو كشف عوار وخفايا الصوفية في هذه البدعة، من خلال أقوال علمائنا -عبر العصور- المنكرة؛ عليهم لهذه الممارسات الخاطئة ليكون المسلم على هدى وبصيرة في جميع أمور دينه ليعرف الحق فيتبعه، من الباطل ويجتنبه.

ولعل هذه السطور تكون سببًا في هداية أولئك المبتدعة أو بعضهم إلى الحق « **ولئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم** ».

ولما كان من حق المسلم أن ينتفع بتلك الجهود المضيئة التي قام بها علماء نصروا الدين بالذب عن السنة وقمع البدعة، لاسيما فيما يتعلق بإنكار بدعة السماع عند الصوفية من هذا المنطلق سميت هذا المؤلف:

« السماع الصوفي: شبهات وردود »

وكان منهجي في إعداده قائم على الآتي:

١- عرض شبه الصوفية كلها أولاً، ثم بيان موقف علماء الأمة منها.

٢- أذكر تاريخ وفاة العالم لأول مرة يرد اسمه، وذلك في ثنايا البحث.

٣- لا أترجم لأي من الأعلام، للحد من زيادة حجم الكتاب.

٤- أذكر اسم السورة ورقم الآية بعد الآية مباشرة.

٥- أدوِّن معلومات المرجع لأول مرة في الغالب.

٦- اكتفيت بفهرس للموضوعات فقط.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين، وأن يجعل عملي فيه خالصًا لوجهه الكريم، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

المؤلف

د/ محمد بن أحمد الجوير

التمهيد

ويشتمل على:

- التعريف بالصوفية.
- سبب التسمية.
- نشأتها ومراحل تطورها.



التعريف بالصوفية

في اللغة :

قيل: "الصوف للشاة، والصوفة أخص منه... وصوفة: أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم.

قال الشاعر:

ولا يريمون في التعريف[1] موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

"وكبش صاف، أي كثير الصوف.. وصاف السهم عن الهدف يَصُوفُ ويصيفُ أي عدل عنه، ومنه قولهم: صاف عنّي شرّ فلان، وأصاف الله عنّي شرّه"[2].

ومن هذا النص يتبين أن كلمة الصوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما أنها تأتي بمعنى عدل ومال.

وقيل: "الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوفٌ

---

(١) أي عرفات: (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤/ ١٣٨٩).

(٢) الصحاح (٤/ ١٣٨٨، ١٣٨٩).

وانظر لسان العرب: ٩/ ٢٠٠، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٣/ ١٦٩).

وصائفٌ وصافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته... وأمّا قوله: صاف عن الشرّ، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال"[1].

تعريف التصوّف اصطلاحاً:

تعدّدت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم واختلاف الصوفية حول هذا المعنى، لا يقلّ عن اختلافهم الكبير حول أصله في اللغة، إذ احتشدت به كتبهم حتى تجاوز تعريفه المائة عند بعضهم[2] -حسب زعمه-، وزادت تعاريفه عن الألف عند البعض[3]، بل قال بعضهم[4] أنها زهاء الألفين.

وهنا عدّة أقوال تناولت هذا التعريف:

القول الأول: عند الصوفية:

يقول معروف الكرخي: "التصوّف الأخذ بالحقائق واليأس مما

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٢٢).

(٢) انظر: اللمع ص(٤٧).

(٣) انظر: عوارف المعارف ص(٥٨).

(٤) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوّف ص(٩).

في أيدي الخلائق"[1].

ويقول الجنيد وقد سئل عن التصوّف: "أن تكون مع الله بلا علاقة"[2]. ويقول أيضا هو: "أن يمتك الحق عنك ويحييك به"[3].

وقد عرفه سمنون بقوله: "التصوف هو أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء"[4].

وللتصوف تعاريف عند ذي النون[5]، وأبو عمرو الدمشقي[6]، والشبلي[7]. والحصري[8] والغزالي[9].

وقد عرّفه البعض بأنه كله اضطراب[10].

---

(١) عوارف المعارف ص(٥٤).

(٢) عوارف المعارف ص(٥٤).

(٣) ن.م ص(٥٧).

(٤) اللمع ص(١٥).

(٥) انظر طبقات الصوفية ص(١٠)، عوارف المعارف ص(٥٧).

(٦) انظر طبقات الصوفية ص(٦٦)، والطبقات الكبرى ص(١٠١).

(٧) انظر: طبقات الصوفية ص(٨٢).

(٨) انظر طبقات الصوفية ص(١٢٠).

(٩) انظر: المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ص (٥٧).

(١٠) انظر: عوارف المعارف ص(٥٩).

ومن وجهة نظري فإن الاختلاف الملحوظ بين هذه التعاريف الصوفية مرده، أن الصوفية لما كانوا أصحاب وجد وذوق، تكلّم به وعرّفه كل واحد منهم بما يروق له. وكما هوا واضح أيضاً فإن هذه التعريفات يكتنفها الفوضى، وتطغى عليها الرمزية والإشارات العامة غير المفهومة.

والملاحظ أن تعريف التصوف عند الصوفية يختلف من عصر إلى آخر، نتيجة لعدم استطاعة القوم، تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، حتى أخذ ينحو منحى خطيراً كلما تقدّم به الزمن.

يقول الواسطي: "كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات"[1].

القول الثاني: تعريف التصوّف عند غير الصوفية:

وكما لاحظنا فيما سبق، الاختلاف في تعريف التصوّف عند رموز الصوفية، فإن هذا الاختلاف في مدلول التصوّف نجده أيضا عند بعض علماء السلف وبعض المتكلّمين والفلاسفة والباحثين، ولا يسعنا هنا إلا أن نعرض بعضاً من أقوال هؤلاء:

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ١٠٠).



١ - عند ابن الجوزي: التصوف هو : "طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"[١].

٢- عند ابن خلدون: يقول: " وأصلها -أي طريقة التصوّف- العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوّفة"[٢].

٣- عند ابن سينا: في معرض تفريقه بين الزاهد والعابد والصوفي يقول ابن سيناء أن الصوفي الذي يُطْلَقُ عليه العارف - هو المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق بأسره[٣].

---

(١) تلبيس إبليس ص(١٩).

(٢) مقدّمة ابن خلدون ص(٤٦٧).

(٣) انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا، (٤/ ٥٧، ٥٨). والعارف : تعبير صوفي اختص به الصوفية دون غيرهم .

٤- عند عمر فروخ: يقول: "الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا، ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم استقرّت اتجاها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة"[١].

٥- ولابن تيمية رأي حول ذلك فهو يقول: أن الناس تنازعوا في طريقتهم -أي الصوفية- فطائفة ذمت التصوف والصوفية وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فيهم وادّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ويرى ابن تيمية رحمه الله أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، ومنهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ويرى ابن تيمية أن من المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة[٢].

ويتضّح من هذا النص أن ابن تيمية رحمه الله لم يتجنّ على الصوفية وإنما

---

(١) تاريخ الفكر العربي د. عمر فرّوخ ص(٤٧٠).

(٢) انظر: الفتاوي (١١/ ١٧، ١٨).

حكم بأنهم مجتهدون في طاعة الله والمجتهد عرضة للخطأ، وذلك لابتداعهم وخروجهم عن اتباع السنة، كما أنه رحمه الله أوضح صراحة أنه قد انتسب إلى هؤلاء طوائف من أهل البدع والخرافات والزندقة وهؤلاء هم المعنيون في هذا البحث، والذين نحن بصدد بيان جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على ضلالاتهم وانحرافاتهم العقدية والسلوكية.

سبب التسمية بالصوفية:

تعددت الأقوال حول نسبة الصوفية، واختلف الباحثون حولها. كما اختلف الصوفية أنفسهم في ذلك، فمن هذه الأقوال:

أ- النسبة إلى الصفة[1]:

وممّن نقل هذا السهروردي[2]، والهجويري[3]

---

(١) أهل الصفة: كانوا فقراء يتقدمون على رسول الله، ﷺ وليس لهم أهل ومال، فبنيت لهم صفّة في شمالي مسجد رسول الله ﷺ، ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، وهم معروفون بالعبادة.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي. ص(٢٠١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص(١٢).

(٢) انظر عوارف المعارف للسهروردي ص(٦٢).

(٣) انظر: كشف المحجوب للهجويري ص(٢٢٧).

والكلاباذي[1].

وقد رُدّت لغويا من الهجويري[2]، والسهروردي[3]، والقشيري[4]، وابن الجوزي[5]، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

وابن خلدون في مقدمته[6]، واللفظ لابن تيمية: " .. وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل صفّي "[7].

ومن الواضح أن ادعاء المتصوفة، ومن ذهب معهم اشتقاق (تصوّف) من (صفّة المسجد) يستهدف به ارتباط التصوّف في نشأته الأولى بعصور تاريخية متقدمة، بل يستهدف ارتباطه بعصر النبوّة، والزعم في نفس الوقت بأن الرسول ﷺ قد أقرّ منهجهم في الافتقار والاعتزال والتجرّد والتواكل المزعوم، وهذا زعم باطل لا يقبله عقل

---

(1) انظر التعرّف لمذهب أهل التصوّف للكلاباذي ص(٢٢٧).

(2) انظر: كشف المحجوب ص(٢٢٧، ٢٣٠).

(3) انظر: عوارف المعارف ص(٦٢).

(4) انظر: الرسالة القشيرية للقشيري. تحقيق ودراسة هاني الحاج (المكتبة التوفيقية) ص(٣٨٥).

(5) انظر: تلبيس إبليس ص(٢٠١).

(6) انظر: مقدمة ابن خلدون لابن خلدون، ص(٤٦٧).

(7) انظر: الصوفية والفقراء لابن تيمية ص(١١).

سليم"[1].

ويكفي في دحض هذا الرأي ورفضه أنه لا يوجد بين صحابة رسول الله ﷺ من يعتبر منهم -رضوان الله عليهم- أساساً في سلوكه لهذه الدعوة الصوفية التي قسمت أصحاب رسول الله ﷺ هذا التقسيم الذي جعل بعض أصحابه: متصوّفة وبعضهم غير متصوّف ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم"[2].

كما أن الثابت تاريخيا أن أهل الصفّة "هم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صفّة مسجد رسول الله ﷺ؛ مثل أبي هريرة الدوسي، وأبي ذر الغفاري وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي -رضي الله عنهم-"[3].

ب- النسبة إلى الصفاء[4]:

قال الكلاباذي: قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء

---

(١) انظر دراسات في الفرق. د. صابر طعيمة ط٢ (الرياض: مكتبة المعارف - ١٤٠٤هـ) ص(٩٩).

(٢) انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا د. صابر طعيمة ص(٢٣).

(٣) شفاء السائل لتهذيب المسائل لابن خلدون ص(١٦، ١٧).

(٤) الصفاء: نقيض الكدر، وهو صفاء القلوب، وانشراح الصدور، ومصافاة المودة والإخاء. انظر: المعجم الصافي في اللغة العربية ص(٣٣٩) حرف الصاد.



أسرارها ونقاء آثارها"[1].

وقال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفا قلبه لله"[2].

وقال أبو نعيم: "اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبادات من الصفاء والوفاء"[3].

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "من قال: نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقّه أن يقال صفائية ولو كان مقصورا لقيل صفوية"[4].

وقد ردّها أيضاً ابن خلدون لأن قياس اللغة يأباه[5].

جـ - النسبة إلى الصف[6]:

قيل: "إنّما سمّوا صوفية، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٦).

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص(٢٦).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٧).

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٣٦٩).

(٥) انظر: مقدّمة ابن خلدون ص(٤٦٧).

(٦) يقصد الصوفية بهذه النسبة أنهم في الصف الأوّل المقدم بين يدي الله تعالى في عباداتهم، وسلوكهم، وأحوالهم.



وعز بارتفاع همهم إليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه"[1].

قلت: وفي هذا تزكية للنفس وقد نهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[2]، وقد اعترض القشيري على هذه التسمية بقوله: ".. ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[3].

كما ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النسبة بقوله: ".. وهو أيضا غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفّي"[4].

د – النسبة إلى صوفه[5]:

قال صاحب اللسان: "الصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت الحرام

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٦-٢٧).

(٢) سورة النجم آية (٣٢).

(٣) الرسالة القشيرية ص(٣٨٥).

(٤) الصوفية والفقراء ص(١١).

(٥) صوفه بن بشر: هو صوفه أبو يحيى من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ابن إلياس من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم، كانوا يجاورون مكة من الزمن القديم وهم قبيلة من العرب.
(انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٧)، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٠٠) مادة "صوف").

وهم الصوفانة"[1].

وبمثل ذلك قال ابن الجوزي: ".... أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفه.

فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية"[2].

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام بن تيمية بقوله ".. فإنه ضعيف أيضا، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النسّاك، ولأنه لو نسب النسّاك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلّم باسم الصوف لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية، ولا وجود لها في الإسلام"[3].

هـ - النسبة إلى الصوف:

وممّن نقل هذا عن الصوفية السراج الطوسي[4]، والكلاباذي[5]،

---

(١) لسان العرب (٩/ ٢٠٠).

(٢) تلبيس إبليس ، ص(١٩٩).

(٣) الصوفية والفقراء ص(١٢).

(٤) انظر: اللمع في التصوّف. أبي نصر عبدالله السراج الطوسي. تحقيق عبدالحليم محمود. (مصر: دار الكتب الحديثة - ١٣٨٠هـ) ص(٤٠-٤١).

(٥) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٧، ٢٨).

والهجويري[1].

ويؤيد هذه النسبة السهروردي بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"[2].

ثم يذكر أن هذا الاختيار ملائم من حيث الاشتقاق اللغوي، لأنه يقال "تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص"[3].

وممّن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"[4].

كما اختار هذا القول ابن خلدون بقوله : قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصّون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"[5].

و – النسبة إلى سوفيا اليونانية[6] :

ممّن مال إلى ذلك البيروني بقوله: "أنهم منسوبون إلى "السوفية"

(١) انظر كشف المحجوب ص(٦٠).

(٢) عوارف المعارف ص(٦٠).

(٣) ن. م ص(٦١).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٣٦٩).

(٥) مقدّمة ابن خلدون ص(٤٦٧).

(٦) سوفيا: معناها باليونانية: الحكمة.



الحكماء القائلون بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسمّوا باسمهم"[1].

كما حاول جرجي زيدان أن يربط بين الكلمة العربية "الصوفية" والكلمة اليونانية "سوفيا فيقول: "وعندنا أنها مشتقة من لفظة يونانية الأصل هي صوفيا" ومعناها الحكمة... فيكون الصوفية قد لقّبوا بذلك نسبة إلى الحكمة، لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد ترجمة كتب اليونان ودخول لفظة الفلسفة منها"[2].

لكن هذه المحاولة استبعدها البعض لأسباب لغوية ذلك أن حرف (س) اليونانية نقلت إلى العربية مكانها (س) لا (ص) كما أنه لا يوجد في اللغة الآرامية كلمة تعد واسطة لانتقال سوفيا إلى صوفي[3].

ومن خلال ما سبق فالراجح هو النسبة إلى الصوف لأسباب منها:

١ - لأن في ذلك علامة على الزهد، لما فيه من الخشونة المعروفة.

٢ - موافقته للغة.

٣ - ولأن هذا القول قد رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ص(٢٤، ٢٥).

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية (٢/ ٣٦٤).

(٣) انظر تاريخ التصوّف في الإسلام د. قاسم غني، ص(٦٧-٦٨).

الصوفية في القرآن والسنة:

مهما كان الرأي حول أصل كلمة الصوفية ومدلولاتها، فإنه لا يوجد لها أثر في الكتاب والسنة، ولم يتكلّم بها أحد من الصحابة أو التابعين.

ولكن وردت كلمة "أصوافها" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

وهذه الكلمة بهذا الاشتقاق بعيدة عن موضوع بحثنا هذا.

كما أنها وردت في السنة النبوية باشتقاقين هما "صوف"، و"صوفه"[2].

ولهذا ذكر بعض الصوفية وغيرهم أن الكلمة مدار البحث مشتقة منهما[3].

النشأة ومراحل التطور:

لعل من نافلة القول أن أعرض وبشكل مبسط الصورة الواضحة عن نشأة التصوف ومراحل تطوره، وربما تكون جلية، فيما أفرده ابن

---

(١) سورة النحل آية (٨٠).

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٣/ ٤٤٣، ٤٤٤).

(٣) راجع النسبة إلى "صوفة"، والنسبة إلى "الصوف".

الجوزي رحمه الله عن تاريخ التصوّف من حيث بدأ حتى اكتمل، وبلغ ذروة الانحراف، مما كان يمثّله من رسوم وإشارات وبدع وضلالات وخرافات. يقول ابن الجوزي: "والتصوّف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهّد، ومال إليهم طلاّب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب".

ثم قال رحمه الله: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلّموا فيه وعبروا عن صفته بعبارة كبيرة وحاصلها أن التصوّف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة، .. وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم، إلى أن تمكّن من المتأخّرين غاية التمكّن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات.. ثم جاء أقوام فتكلّموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنّفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوّف، وأفردوه بصفات ميّزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد

والرقص والتصفيق، وتميّزوا بزيادة النظافة والطهارة... ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق... ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد... وجاء أبو عبدالرحمن السلمي وصنّف لهم كتاب "السنن" وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن... وصنّف لهم أبو نصر السراج كتابا سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول... وصنّف لهم أبو طالب المكي "قوت القلوب" فذكر فيه الأحاديث الباطلة ومالا يستند فيه إلى أصل... وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنّف لهم كتاب "الحلية" وذكر في حدود التصوّف أشياء منكرة قبيحة... وصنّف لهم عبدالكريم بن هوزان القشيري كتاب "الرسالة" فذكر فيها العجائب عن الكلام في الغناء والبقاء... وجاء محمد طاهر المقدسي[1] فصنّف لهم "صفوة التصوّف" فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها... وجاء أبو حامد الغزالي فصنّف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلّم في

---

(١) محمد بن طاهر أبو الفضل ابن القيسراني الظاهري، الصوفي، ولد ببيت المقدس سنة ٤٤٨هـ وتوفي سنة ٥٠٧هـ ببغداد من مصنّفاته "صفوة التصوّف".

انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦١)، والأعلام (٦/ ١٧١).

علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه..."[1].

وخلاصة ما سبق يتبيّن أن التصوّف ظهر في القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة، وأنه تطوّر خلال مراحل، حيث سادت روح الزهد والتقشّف المرحلة الأولى؛ مما هيّأ الظروف المناسبة لبذر بذور التصوّف، وبلغ التصوّف مرحلة النضج والازدهار في المرحلة الثانية، حتى شهدت ظهور الطرق الصوفية، والمصطلحات والرموز الغامضة، وامتزج التصوّف بالفلسفة في المرحلة الثالثة، وانتشرت الطرق الصوفية في العالم العربي والإسلامي، وفي نهاية هذه المرحلة شهد ضعفاً، حيث سادت روح التبعية والتقليد للأفكار السابقة.

وبالجملة فإن التصوّف يمثّل شريحة من المجتمع الإسلامي تدعو إلى البدعة والركون، وأفكاره تنافي مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

ومما لا يدع مجالاً للشك أن نبتة التصوّف لم تكن إسلامية، بل هي نتيجة مؤثّرات خارجية جرّاء احتكاك المسلمين مع الثقافات الأجنبية الأخرى إبّان الفتوحات الإسلامية، وترجمة كتب اليونان الفلسفية، وجلبها للديار الإسلامية.

---

(١) تلبيس إبليس ص(٢٠١-٢٠٥).



ومن أهمّ مصادر هذه المؤثرات:

المصدر اليهودي، والمصدر النصراني، والمصدر الهندي، والمصدر اليوناني، والمصدر الفارسي، وفي تحقيق لمجلة الهلال المصرية " فإن التصوّف في حقيقته خرج من أفكار ومعتقدات مجوسية، وبوذية، ومسيحية، ويهودية، ويونانية وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوّف الإسلامي، فهذا "فون كريمر" يقول: إن في التصوّف عنصرين مختلفين أولهما مسيحي رهباني والثاني هندي بوذي.

ويذهب المستشرق "ثولك" إلى أن التصوّف مأخوذ من أصل مجوسي، كما أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسي، وكذلك يقول المستشرق الهولاندي "دوزي": أن التصوّف جاء إلى الصوفية من فارس، ، حيث كان موجودا قبل البعثة المحمّدية. أمّا المستشرق "جولدزيهر" فقد فرّق بين تيارين مختلفين في التصوّف أولهما الزهد، وهذا في نظره قريب من روح الإسلام، وإن كان متأثّرا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية. والثاني التصوّف بمعناه الحقيقي وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والأذواق، وهو متأثّر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة، ومن ناحية أخرى بالبوذية

الهندية"[1]، ويقول أحمد أمين: "ثم إن التصوّف لما كان مختلطاً مع الفقه في العصر الأوّل كان إسلاميا بحتاً، وكان الزهد طوعاً للأوامر الإسلامية، وظلّ كذلك طول العهد الأيوبي... فلمّا دخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات الأخرى كالنصارى، واليهود، والفرس، والهنود، وانتشرت الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة استمد التصوّف من كل هذه المنابع، فلوّن عند بعض الناس بالزرادشتية الفارسية، وبالمذاهب الهندية، ولوّن عند بعض الناس بالنصرانية، وعند بعضهم بالأفلاطونية الحديثة، ثم اختلطت هذه العناصر كلّها بعضها ببعض، وكانت نزعات مختلفة، وطرق مختلفة على مدى العصور"[2].

---

(١) (مجلةّ الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ) ص(١٠٦).

(٢) ظهر الإسلام/ أحمد أمين (٢/ ٥٨).

ولمزيد من الإطّلاع على هذه المؤثرات في القضايا العقدية والسلوكية للتصوّف، انظر: نظرية الإتصال عند الصوفية/ د. سارة آل جلوي، والمصادر العامّة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق.

تعريف السماع

يُعدُّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر عند أولئك المبتدعة الصوفية قديمًا وحديثًا؛ فلا يخلو مصنَّف من مصنفات القوم من ذكره والتشفي به، فكثرت فيه أقوال مشايخ الصوفية وأوليائهم والدعوة إليه والاعتقاد بإباحيته، كالسراج الطوسي في اللمع، والقشيري في رسالته، والسهروردي في عوارف المعارف، حيث عقد أربعة أبواب في السماع، والغزالي في الإحياء، ومحمد بن طاهر في صفة أهل التصوف وغيرها.

فيا ترى ما المقصود بالسماع عند الصوفية؟

السماع لغة:

قال ابن منظور: هو الغناء، وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما تلذذت به الأذن من صوت حسن سماع[1].

السماع في الاصطلاح الصوفي:

عرفه الصوفية بأنه « وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق »[2].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٦٥).

(٢) اللمع للطوسي ص(٣٤٢)، الرسالة القشيرية ص(٥٠٣)، إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٩٢).

وقال عنه القشيري بأنه: « بروق تلمع ثم تخمد، وأنوار تبدو ثم تخفى »[1].

ولئن أُطلِق السماع عند الصوفية فإن المراد به عندهم السماع المقيد بالنغم لا مطلق السماع، يقول ابن عربي: « السماع المقيّد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله: وهو الذي يريدونه غالبًا بالسماع المطلق »[2].

آثار السماع على الصوفية:

عند الاجتماع على الاستماع للمنشد (القوّال) وهو يلقي الأشعار بالألحان يتأثر الحاضرون وتصدر منهم بعض السلوكيات تشكل إفرازه من إفرازات السماع عندهم تكون متولدة تلقائيًا نتيجة غياب العقل -أشبه بالسكارى-، ومن هذه الإفرازات والمتولدات التي تبدو ظاهرة على هؤلاء: البكاء، والصياح، تمزيق الثياب، اللطم، الرقص، التواجد، الزعق وغير ذلك. وهم يلتمسون لهذه الأفعال سندًا من الكتاب والسنة والقياس.

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٥٢٥).

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي (٢/ ٣٦٧).



الاحتجاج بالكتاب والسنة:

عندما يمارس الصوفية هذه السلوكيات؛ فهم يحاولون الاستدلال على ذلك بالنصوص الشرعية، وهي نصوص استخدموها في غير ما تدل عليه، أو لا تصح أصلاً نسبتها إلى الشارع، وقد وجدت -وللأسف الشديد- قبولاً لدى الرعاع من الصوفية، فمثلاً عند تقطيع الثياب وتمزيقها أثناء السماع يحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣].

وأثناء تواجدهم عند السماع يحتجون بقصة رووها عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- أنه عندما سمع قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح صيحة، ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربًا ثلاثة أيام[١].

ومن سلوكياتهم عند السماع الزعق والصياح والبكاء، فقد روي عن الشبلي حكاية أنه كان يصلي خلف إمام له، «فقرأ الإمام هذه الآية: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦] فزعق زعقة ظنوا أنه قد طارت روحه»[٢].

---

(١) انظر: اللمع للطوسي ص(١٨٥).

(٢) اللمع للطوسي ص(٣٥٥).



وقال الهجويري: « جئت يومًا عند الشيخ أرى العباس الشقاني وكان يقرأ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٧٥] وكان يبكي ويصرخ حتى ظننت انه قد فارق الحياة »[1].

وحكي عن ذي النون المصري أنه لما دخل بغداد فدخل عليه جماعة معهم قوّال (منشد)، فاستأذنوا أن يقول شيئًا فأذن لهم، فأنشد يقول:

صغير هواك عذبني ∴ فكيف به إذا احتنكا
أما تنظر لمكتئب ∴ إذا ضحك الخليّ بكى
وإن جمعت من قلبي ∴ هو قد كان مشتركا

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبينه ولا يقع على الأرض، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨] فجلس الرجل[2].

كذلك احتجوا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١][3].

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص(٦٤٢).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ص(٥١٩)، وعوارف المعارف للسهروردي ص(١٦٥).

(٣) انظر: الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، دراسة وتحقيق، د. صالح السدلان ط١ (الرياض-دار طيبة - ١٤١٠هـ) ص(٩٥).



واحتجوا على جواز الطرب بقوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢][1].

أيضًا احتج الصوفية على جواز هذه الإفرازات والمتولدات أثناء السماع بما رووه حديثًا عن أنس -رضي الله عنه- قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم؛ وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: هل منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات؛ فأنشد أعرابي:

قد لسعت حية الهوى كبدي ∴ فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به ∴ فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا آوى كل واحد منهم إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية، ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ على من حضر بأربعمائة قطعة »[2].

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ٣٧٤).

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص(١٨٩).

كما استدل الصوفية أيضًا على جواز هذا السماع بما روي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليَّ أبوبكر الصديق وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبوبكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا »[1].

الاحتجاج بالقياس:

لم يكتف هؤلاء القوم بالاحتجاج بالكتاب والسنة، ولكنهم أيضًا جعلوا من القياس حجة لهم، فقد احتج بذلك القشيري على إباحة الغناء بقوله: « إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء »[2].

وقد روى الهجويري أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنًا

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٧٨)، الرسالة القشيرية ص(٤٦٦).

والحديث عند البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (٢/ ٢) بمعناه.

(٢) الرسالة القشيرية ص(٤٨٢-٤٨٤)، والحداء: من الحدو، سوق الإبل والغناء لها. انظر: مختار الصحاح ص(١٢٧).

صغيرًا فأرادوا أن يبايعوه، فقالوا: كيف نصل إلى عقله وذكائه، فتوافقوا على أن يأتوا بقوَّال (منشد) فإن حسن الإصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوَّال ضحك الرضيع، فقبّلوا الأرض بين يديه وبايعوه!!»[1].

أيضًا يقيس السهروردي السماع على الغيث (المطر)، فيقول « مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض تصبح مخضرة، كذلك القلوب الزكية يظهر مكنون فوائدها عند السماع »[2].

والصوفية عندما تبدوا عليهم هذه الآثار التي سبق وأن بيناها من الصياح والبكاء والزعق وتمزيق الثياب والتواجد وغيرها تحضرهم بذلك الشياطين وتشاركهم؛ بل تأزهم على ذلك أزًا، وهم يقرون بذلك.

يقول الهجويري: « قال سمعت أبا العباس الشقاني يقول: كنت يومًا جالسًا في مجلس سماع فرأيت كثيرًا من الشياطين عراة الأجسام، يرقصون بين الجماعة ينفثون عليهم لكي يزيدوا من حماسهم »[3].

---

(١) انظر: كشف المحجوب للهجويري ص(٤٨٦).

(٢) آداب المريدين ص(١٠٣).

(٣) كشف المحجوب ص(٤٩٧).

منزلة السماع عند الصوفية:

بلغ السماع عند الصوفية درجة قدسية رفيعة، تتجلى تلك عندما عدّوا مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة، واعتقدوا ذلك السماع من الدين المنزل من رب العالمين، وبالتالي فهو عبادة من العبادات التي تقربهم إلى الله زلفى، وأي عبادة!!.

فهذا الجنيد المسمى عندهم (سيد الطائفة) يقول: «تنزل الرحمة على الفقراء -الصوفية- في ثلاث مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء»[1].

والعجب كل العجب أن جعل الصوفية منزلة السماع تفوق منزلة القرآن -والعياذ بالله-؛ بل أكبر تأثيرًا على قلوبهم منه.

يبدو هذا السلوك جليًا في هذه الرواية فقد روي أن يوسف بن الحسين الرازي كان يقرأ القرآن، فقصده أبوالحسين الدراج من بغداد لزيارته فوجده يقرأ في المصحف، فلما أنشد أبوالحسن:

رأيتك تبني دائمًا في قطيعتي ∴ ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كأني بكم والليث أفضل قولكم ∴ ألا ليتنا كنا إذ الليث لا يغني

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٥٠٩)، واللمع ص(٣٤٣)، والإحياء (٢/ ٢٧٠).

فأطبق يوسف بن الحسين المصحف، ولم يزل يبكي، حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمه أبوالحسين لكثرة بكائه.

ثم قال يوسف بن الحسين يا بني تلوم أهل الري[1]: يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ المصحف، ولم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليَّ بهذين البيتين »[2].

وتأكيدًا لهذه الرواية، فقد وصفه الشعراني في طبقاته بقوله: « وكان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعه، وإذا سمع شعرًا قامت قيامته »[3].

وهذا أبوحامد الغزالي يقول: « فاعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن »[4].

أيضًا حاول الصوفية إضفاء القدسية على هذا السماع من خلال حكايات وروايات ظاهرها الكذب، منها ما روي عن ممشاد الدينوري أنه قال: « رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت له يا رسول الله هل تنكر من

---

(١) الري: مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان شمال إيران. انظر: معجم البلدان (٣/ ١١٦).

(٢) انظر: اللمع ص(٣٦٤)، والرسالة القشيرية ص(٥٢٢).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٩١).

(٤) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣).

هذا السماع شيئًا؟ فقال: ما أنكر منه شيئًا، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن »[1].

ومما يدل على كون السماع عندهم من الدين -كذا زعموا!!- أن أبا الفضل بن طاهر المقدسي الصوفي (ت٥٠٧هـ) بعد أن أورد ما ظنه أدلة على مشروعية السماع قال: « فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء قد اجتمعوا للسماع وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم وما كان كذلك فهو دين معروف »[2].

ولا يرون بأسًا في حضور الملاهي لسماع الأغاني لأنهم بزعمهم قد وصلوا إلى مقام اليقين الذي من وصله سقطت عنه التكاليف الشرعية!!!

فقد نقل عن رجل من المتصوفة، كان يحضر الملاهي، ويعمل عمل أهل البدع ويقول: هذا لا يؤثر؛ لأني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيَّ معه الاختلاف[3].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٧٠)، وانظر عوارف المعارف ص(١٦٥).

(٢) صفة أهل التصوف للمقدسي نقلاً عن كشف القناع للقرطبي ص(١٥٩).

(٣) انظر: الحلية لأبي نعيم (١٠/ ٣٥٦).

الرقص عند الذكر:

أيضًا هناك عبادة تمارس عند الصوفية على غير وجهها الصحيح، هي عبادة الذكر، فالصوفية يتقربون به إلى الله، وهو عندهم ما يسمى بالذكر الصوفي، يفردون الله بالذكر، ويذكرون الله والنبي ﷺ، ثم يرقصون، ويتواجدون ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فمن بدعهم في الذكر، ما يجري على ألستهم من إفراد الله فيقولون، « الله الله الله الله »، و « هو هو هو »، و « لا لا لا » أو « آه آه آه » أو « عا عا عا عا » أو « آ آ آ آ »، أو « ها ها ها »، أو « صوت بغير حرف، أو تخبيط، وأدبة عند ذلك التسليم للوارد[1].

ويقول أبو العباس المرسي: « ليكن ذكرك: الله الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمره، فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصودًا لذاته، بل لما نفع به الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره، واختياره على سائر الأذكار، ليضمنه جميع ما في لا إله إلا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقائق... »[2].

---

(١) انظر: الأنوار القدسية (١/ ٣٩).

(٢) نور التحقيق، حامد صقر (مصر: دار التأليف - ١٣٦٩هـ) ص(١٧٤).

والشاهد من هذا أن الصوفية تمارس الرقص والوجد أثناء ما يسمى عندهم بالذكر الصوفي، لذا صار الذكر قرينًا للسماع عندهم.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن باب الأذكار هو الباب الذي ولج منه هؤلاء للتشريع لمريديهم، حيث وضع كل شيخ طريقة أذكارًا مخصوصة وكان لابد لكل شيخ أن يضفي على ذكره هالة من التقديس فمنهم من زعم أن ذكره أخذه من الرسول ﷺ، ومنهم من زعم أنه أخذه من الخضر -عليه السلام-.

وهذه الأذكار قد تحوي كلمات غير مفهومه، وكل يدعي الوصل بليلى!!.

فكل شيخ يدعي بأن من يردد ذكره له من الأجر كذا وكذا من المنافع الدنيوية، فهذا أحمد التيجاني المولود سنة ١١٥٠هـ شيخ الطريقة التجانية يدعي بأن الرسول ﷺ أعطاه ذكرًا يسمى « صلاة الفاتح » القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة »[1].

---

(١) جواهر المعاني على برادة (در الجيل - بيروت) (١/ ١١٤).

النظر إلى وجه الأمرد:

ثمة سلوك آخر عند الصوفية لا ينفك عن مسألة السماع عندهم، ذلك أنهم يعملون على تقريب الشباب المرد ويجوزون النظر إلى وجوهم أثناء اجتماعهم للسماع، بل إن البعض منهم قد يمارس بعض السلوكيات المشينة والشاذة مع هؤلاء المرد، بحجة النظر والاعتبار لزيادة الإيمان، هذا ما يتضح في الرواية التالية:

فقد ذكر الشعراني في طبقاته في ترجمة علي أبو خوذة: « أنه إذا رأى امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس »[1].

وكان علي الحريري أكثر المتصوفة تهتكًا في معاشرة الأحداث « فكان من وقع نظره عليه من الأحداث وأولاد الجند والأمراء وغيرهم يحسن ظنه فيه، ويميل إليه، ولا يعود ينتفع به أهله، بل يلازمه ويقيم عنده، اعتقادًا فيه وميلاً إليه »[2].

وقد أباح محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني، للصوفية النظر إلى وجوه المرد وذلك بتصنيفه رسالة في إباحة السماع والنظر إلى المرد[3].

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٣٥).

(٢) الموفي بمعرفة التصوف والصوفي/ لأبي الفضل جعفر الأدفوي، تحقيق وتعليق: د/ محمد ضاحنة، ط١ (الكويت - دار المعرفة - ١٤٠٨هـ) ص(١٥-١٦).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١٢٩)، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(٢٦٦).

ومما يؤكد تفشي هذا السلوك الشائن عند الصوفية، فقد أورد لنا الشعراني -أحد كبار متصوفة القرن العاشر الهجري- خبر الصالح محمد بن عراقي، الذي كان لا يمكّن ابنه عليًا من الخروج إلى السوق، حين كان أمرد إلا أن يُبَرقع خوفًا عليه من السوء والفتنة[1].

ما سبق بيانه عرض سريع للسماع عند الصوفية وآثاره عليهم، ومنزلته عندهم، وذلك من واقع أقوال مشايخهم التي ساقها مصنفوهم وبعد هذا العرض لهذه الدعوى، يلزمنا عرضها على ميزان الشريعة لنقف على موقف الإسلام من هذه الممارسات والسلوكيات لتنكشف أمام الحق خفايا الصوفية في هذه القضية.

---

(١) انظر: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (القاهرة، ١٩٦٥م) (٢/ ٢٥٧)

موقف علماء الأمة من السماع الصوفي

سبق وأن بيَّنا أن دعوى السماع عند الصوفية لم تكن محصورة في قرن بذاته دون آخر؛ بل أنها وجدت مع التصوف والصوفية منذ تاريخ نشأته وسارت عبر عصوره شأنها شأن كل بدعة تبدأ صغيرة ثم لا تلبث أن تكبر مع مرور الزمن.

كل الحوادث مبدؤها النظـر ∴ ومعظم النار من مستصغر الشرر

لا شك ولا ريب أن هذه الدعوة، بدعة في خضم بدع الصوفية التي لم يزل علماء الأمة يفندونها بدعة بدعة سندهم في ذلك قال الله وقال رسوله ﷺ.

وقبل أن نقف على تلك الجهود التي كرست لتفنيد هذه البدعة، حري بنا معرفة الحكم الشرعي إزاءها ابتداءً.

حكم السماع الصوفي:

كرَّس علماء الأمة، جهدهم وأفنوا أعمارهم بالرد على المبتدعات والمحدثات في الدين، وما أن أطلَّت بدعة السماع عند الصوفية برأسها؛ إلا وتصدى لها هؤلاء العلماء الأجلاء في كل عصر ومصر، بتفنيدها والإنكار على أصحابها أشد الإنكار، وكان لأسلوب الرد بالتأليف النصيب الأوفى، فكثرت المؤلفات في مسألة السماع؛ لاسيما التي تنكرها وتعتبرها بدعة من أشهر البدع عند الصوفية.

وهذه بعضًا منها مطبوعًا:

١- الرد على من يحب السماع للقاضي طاهر الطبري (ت٤٥٠هـ).

٢- كتاب رسالة في تحريم الجبن الرومي وتحريم الغناء والسماع لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ).

٣- فتاوى في ذم الشبابة والرقص والسماع، لموفق الدين أبي محمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ).

٤- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي (ت٦٥٦هـ).

٥- حكم السماع لابن تيمية (ت٧٢٨هـ).

٦- فتاوى في الغناء، لأبي العباس أحمد المعروف بابن قاضي الجبل (ت٧٥١هـ).

٧- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب (ت ٧٩٥هـ)[١].

٨- الرهص والوقص لمستحل الرقص، لإبراهيم الحلبي (ت ٩٥٤هـ) تحقيق: الدكتور صالح السدلان.

٩- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).

هذا وقد دلَّ الكتاب والسنة على تحريم الغناء.

فمن الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦].

قال ابن مسعود، وابن عبّاس، ومجاهد، وعكرمة: لهو الحديث هو الغناء، ذكر ذلك البغوي وقال: معنى قوله: ﴿يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن[٢].

---

(١) لمزيد الاطلاع على المؤلفات في مسألة السماع: انظر: مقدمة كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع للقرطبي، تحقيق: د. عبدالله الطريقي.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٦/ ٢٨٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٦١]، قال ابن عبّاس: هو الغناء[1].

وقولـه تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قال مجاهد: بصوتك: بالغناء والمزامير[2].

وأمّا السنة الشريفة:

فقد وردت أحاديث كثيرة تنصّ على تحريم الغناء، منها:

قول النبي ﷺ: « **ليكونن من أمتي أقوام يستحلّون الحر، والحرير، والخمر والمعازف...** »[3].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « **في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله! ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور** »[4].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٧/ ٤٢١.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٥/ ١٠٥.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ٦/ ٢٤٣.

(٤) سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة، ٣/ ٣٣٦، والحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الترمذي هذا حديث غريب.

وقد أورد ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) رحمه الله بعض أقوال الأئمة في حكم هذا السماع ومنها:

١- قول الإمام احمد: (التغبير[1] محدث)، وقوله وقد سئل عنه (هو بدعة).

٢- قول الإمام الشافعي: (تركت بالعراق شيئا يقال له التغبير. أحدثته الزنادقة يصدون الناس به عن القرآن).

٣- قول يزيد بن هارون: (ما يغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير؟).

٤- قول عبد الله بن داود: (أرى أن يضرب صاحب التغبير)[2].

ثم بيّن ابن قدامة أن هذا التغبير هو السماع، وهو منهي عنه، فقال: « والتغبير اسم لهذا السماع، وقد كرهه الأئمة كما ترى، ولم ينضم إليه

---

(١) التغبير: الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية، وترديد الصوت بالقراءة والطرب عند سماع الذكر أو بعض الأشعار، والضرب بالقضيب، ونحو ذلك، ويطلق عليه التغبير لأنهم يغبرون ذكر الله بما يطربون به من الشعر. وسمّوا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة.

(انظر: تلبيس إبليس ص ٢٣٠، والاستقامة ١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: ذم ما عليه مدعوا التصوّف لموفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي – ١٤٠٤هـ) ص ٧.

هذه المكروهات من الدفوف[1] والشبابات[2]، فكيف به إذا انضمت إليه واتخذوه دينا؟ فما أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقيل المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق، وقال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[3].

وقال ابن قدامه رحمه الله: « من اتخذ الغناء صناعة، يؤتى له ويأتي له، أو اتخذ غلاما أو جارية مغنيين، يجمع عليهما الناس، فلا شهادة له لأن هذا عند من لم يحرّمه سفه ودناءة وسقوط مروءة، ومن حرّمه، فهو مع سفهه عاصٍ مصرّ، متظاهر بفسوقه،... ومن كان يغشى بيوت الغناء، أو يغشاه المغنون للسماع متظاهرا بذلك، وكثر منه، ردّت شهادته في قولهم جميعا، لأنه سفه ودناءة»[4].

وقد أنكر محمد بن سيرين (ت١١٠هـ) رحمه الله هذا السماع فقد ذكر عنده: « الذين يصرعون إذا قرئ القرآن، فقال بيننا وبينهم أن

---

(١) الدّف: ألة طرب ينقر عليها، وجمعه دفوف. (انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٨٩).

(٢) الشبابة: مزمار من القصب، مولّدة. (انظر: الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، عبد الله البستاني (بيروت: مكتبة لبنان – ١٩٩٠م) ص ٣٠٣ بدون رقم الطبعة).

(٣) ذمّ ما عليه مدّعوا التصوّف ص ٨.

(٤) المغني ٩/ ١٧٧-١٧٨.

يقف أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجليه، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق[1].

وقال عبدالله بن المبارك[2]: « لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئًا، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئًا، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئًا »[3].

وهذا ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يذكر أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في كراهيته[4]، وبيّن رحمه الله أن سماع الغناء يجمع شيئين:
أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى، والقيام لخدمته.

---

(١) كشف الرعاع ص(٨٢).

(٢) عبدالله بن المبارك: هو الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته أبوعبدالرحمن الحنظلي، ولد سنة (١١٨هـ)، وتوفي في رمضان سنة (١٨١هـ). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٠).

(٣) شرح السنة لأبي محمد الحسن البربهاري، تحقيق: خالد الروادي، ط٢، (الرياض - دار السلف - ١٤١٨هـ ص(١١٦).

(٤) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٢٨-٢٣٠، وانظر آراء الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في الغناء، إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٢٢٦-٢٢٩.

الثانـــي: أنه يميله إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها مـن جميـع الشهوات الحسّية، ومعظمها النكاح، ولـيس تمـام لذتـه إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات مـن الحـل، فلـذلك يحثّ على الزنا، فبين الغناء والزنى تناسب من جهة أن الغنـاء لذّة الروح والزنى أكبر لذات النفس"[1].

ومجمل القول، فقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله موقف السلف من أهل السنة والجماعة من دعوى السماع عنـدما سئل رحمه الله عنه، موضحًا السماع المشروع من السماع المبتدع قائلاً:

« السماع الذي أمر الله به رسوله واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن، فإنه سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين، وسماع المؤمنين. قال -تعالى- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ (٥٨) ﴾ [مريم: ٥٨]

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ

---

(١) ن. م ص ٢٢٢.

﴿خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

إلى أن قال -رحمه الله-: «وكما أثنى الله على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه وساق بعض الآيات القرآنية الدالة على الوعيد الشديد لمن أعرض عن سماع القرآن الكريم ثم قال:

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ويبغضه».

إلى أن قال -رحمه الله-: «وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها، ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب، ودموع العين، واقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذي أثنى عليهم في القرآن، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب، والاختلاج والإغماء، أو الموت والهيام، فأنكر بعض

السلف ذلك إما لبدعتهم وإما لحبهم.

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فإن السبب إذا لم يكن محظورًا كان صاحبه فيما تولَّد عنه معذورًا لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما ذمَّ اللهُ الذين قال فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]. ولو أثَّر فيهم آثارًا محمودة لم يجذبهم عن حدِّ العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حدِّ الغلبة كانوا محمودين أيضًا ومعذورين.

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك: إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك، فهو السماع المحدث في الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ حيث قال « **خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »[1]، وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٤/ ١٨٩).

وقال الشافعي رحمه الله: « خلفت ببغداد شيئًا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن ».

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال: « هو محدث أكرهه قيل له: إنه يرق عليه القلب. فقال: لا تجلسوا معهم. قيل له: أيهجرون؟ فقال: لا يبلغ بهم هذا كله ». فبيَّن أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره مثل إبراهيم بن ادهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي، ولا السري السقطي، ولا أبوسليمان الداراني، ولا مثل الشيخ عبدالقادر والشيخ عدي، والشيخ أبي البيان، ولا الشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ ».

إلى أن قال -رحمه الله-: « وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئًا يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدَّث به ولا شيئًا يبعد عن النار إلا وقد حدَّث به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه »[١].

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٨٧-٥٩٥).

الرد على دعوى أن السماع قربة إلى الله:

لما اعتقد الصوفية أن السماع وما يترتب عليه من آثار إنما يفعله هؤلاء قربة إلى الله زعمًا أنه من الدين.

واجهت هذه الفرية تفنيدًا من علمائنا وإنكارًا شديدًا سندهم في ذلك الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح.

فهذا الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى يشدد إنكاره على الصوفية في هذه الدعوى وكان ذلك عندما ورد عليه سؤال جاء فيه: « ما تقول السادة الفقهاء... فيمن يسمع الدف والشبابة، والغناء ويتواجد حتى أنه يرقص... مع اعتقاده أنه محب لله، وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله؟ ».

فكان مما أجاب به قوله: « إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته... ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأمّا اعتقاده محبة الله -ﷻ-، فإنه يمكن أن يكون محبًا لله سبحانه مطيعًا له في غير هذا... وأمّا هذا فمعصية ولعب، ذمّه الله تعالى ورسوله ﷺ، وكرهه أهل العلم وسمّوه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرّب إلى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه.

ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرد

والإبعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب دينًا، كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله -تعالى- من غير طريق رسول الله ﷺ وسنّته، فهو بعيد من الوصول إلى المراد »[1].

وجاء في كلامه رحمه الله تعالى: « ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شفيقًا على أمته، حريصًا على هداهم رحيمًا بهم، فما ترك طريقًا تهدي على الصواب إلا وشرعها لأمته، ودلهم عليها بفعله قوله، وكان أصحابه من الحرص على الخير والطاعة والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير، إلا تسابقوا إليها. فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليله في سماع يتقرّب به إلى الله سبحانه ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا، ولا قال: الغناء ينبت الإيمان في القلب، ولا استمع الشبابة، فأصغى إليها وحسّنها، أو جعل في استماعها وفعلها أجرًا، وهذا أمر لا يمكن مكابرته، وإذا هذا لزم أن لا يكون قربة إلى الله سبحانه، ولا طريقًا موصلاً إليه، ووجب أن يكون من شر الأمور »[2].

وقال رحمه الله منكرًا على الصوفية في ذلك: « فأمّا من يجعله -أي ضرب الدف ونحوه- دينًا، ويجعل استماعه، واستماع الغناء قربة

---

(١) ن. م ص(٦).

(٢) ن. م ص(٩-١٠).

وطريقًا إلى الله سبحانه، فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته، وربما انضم إلى ذلك النظر إلى النساء المحرّمات أو غلام جميل يسلبه دينه، ويفتن قلبه، ويخالف ربه في قوله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، فكان دليلاً على تسامحه في المخالفة لقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، ولم يكن ذلك أزكى لهم، ومن ابتلي بمخالفة أوّل الآية، فليبادر إلى العمل بآخرها: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١](١).

وقال رحمه الله وهو يرد على ابن الحنبلي إباحته سماع الشبابة، مبيّنًا أن هذا من فعل المبتدعة: « ومن العجب، استدلال الفقيه على إباحة الشبابة. بأنه قد سمعها من الصوفية، وما من قبيحة من القبائح، ولا بدعة من البدع، إلا قد سمعها مشايخ وشباب أيضًا، وقد علم الناصح -أي ابن حنبلي- أنواع الأدلة، فهل وجد منها فعل المشايخ من الصوفية؟، وإن كان هذا دليلاً؛ فليضمّه إلى أدلة الشرع المذكورة، ليكون دليلاً آخر يقرب به على من قبله، ويكون هذا الدليل منسوبًا إليه، معروفًا به، ولكن لا ينسبه إلى مذهب أحمد، فإن أحمد وغيره من الأئمة بريئون من هذا »(٢).

---

(١) ذمّ ما عليه مدّعو التصوّف ص(١٤-١٥).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ١٥٩).

وكان الحافظ عبدالغني المقدسي (ت٦٠٠هـ) قويًا في أمر الله، وكثيرًا ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات[١].

وأبطل أبوبكر الطرطوشي (ت٥٢٥هـ) دعوى الصوفية بأن هذا السماع قربة إلى الله قائلاً: «وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب منها، ثم كبر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارًا، ثم ازداد الأمر إدبارًا حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين -وفقنا الله وإياهم- استنزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى، وجاهرت به جماعة من المسلمين»[٢].

وأنكر ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله على الصوفية زعمهم أن السماع قربة لله قائلاً: «... إن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى وتحريك القلوب إلى محبته والأنس به والشوق إلى لقائه، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم، وإنما يستتر بهم ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه عن نيل لذته، فهذا المتشبه بهم مخادع مُلبِّس وفساد حاله

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/ ١٢-١٣).

(٢) المدخل لابن الحاج (٣/ ١٠٠).



أظهر من أن يخفى على أحد... ».

ثم بين رحمه الله حال الصادقين في دعواهم الذي لُبِّس عليهم فتقربوا إلى الله بما لم يشرعه الله واتخذوا دينًا لم يأذن الله فيه فلهم نصيب ممن قال الله فيه: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فإنه إنما يتقرب إلى الله بما يشرع التقرب به إليه على لسان رسوله، فأما ما نهى عنه فالتقرب به إليه مضادة لله في أمره »[1].

وقال رحمه الله أيضًا في هذا السياق: « فلا ريب أن التقرب إلى الله بسماع الغناء الملحن لاسيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن سائر شرائع المسلمين أنه ليس مما نتقرب به إلى الله، ولا مما تزكّى به النفوس وتطهر من أدناسها وأوصارها، ولم يشرع على لسان أحد من الرسل في ملة من الملل أشياء من ذلك، وإنما يأمر بتزكية النفوس بذلك من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة كما يأمرون بعشق الصور، وذلك كله مما تحيى به النفوس الأمّارة بالسوء لما لها من الحظ ويقوى به الهوى وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب،

---

(١) نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب ص(٨٠-٨١).

وتبعد به عنه »[1].

وقال ابن كثير (ت٧٤٤هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ ﴾ [لقمان: ٦][2].

إن لهو الحديث هو: الغناء، وذكر أن المعازف واللعب واتباع الشهوات، وكل ما يصد عن ذكر الله، هي ما كانت تتلو الشياطين[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض إنكاره على هؤلاء المبتدعة: «... كثير من الأشعار التي يسمعها أهل السماع -الصوفية-، قد يتضمن من الكذب على الله، والتكذيب بالحق: أنواعًا »[4].

وأضاف: وصار من هؤلاء من يُنشد أشعار الفساق، والفجار، والكفار، بل وينشدون ما لا يستجيزه أكثر أهل التكذيب، وإنما يقوله: أعظم الناس كفرًا برب العالمين، وأشدهم بُعدًا عن الله ورسوله، والمؤمنين وزادوا على ذلك في أنواع الآلات، ما زادوا به الفتنة، حتى ربا فيها الصغير، وهرم فيها الكبير، حتى اتخذوا ذلك دينًا وعادة،

---

(١) نزهة الأسماع ص(٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٥٠-٤٥١).

(٣) نفس المرجع (١/ ١٣٩).

(٤) الاستقامة لابن تيمية (١/ ٢٢٥).

وجعلوا من الوظائف الراتبة، بالغداة، والعشي، كصلاة الفجر، والعصر، وفي الأوقات، والأماكن، الفاضلات، واعتاضوا به عن القرآن، والصلوات[1].

وقال القاضي أبو الطيب طاهر الطبري (ت٤٥٠هـ) رحمه الله: « اعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع علماء المسلمين، فإنه ليس فيهم من جعله دينًا وطاعة ولا روى إعلانه في الجوامع والمساجد، وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، فكان مذهب هذه الطائفة مخالفًا لما اجتمعت العلماء عليه ونعوذ بالله من سوء التوفيق[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض إنكاره على الصوفية:

« وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف، والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك دينًا وقربة وطريقًا إلى الله، فهذا ليس من دين الإسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد ﷺ، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسن ذلك أحد من أهل الدين ولم يفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ، ولا عهد الصحابة ولا تابعيهم بإحسان ولا تابعي

---

(١) انظر: الاستقامة (١/ ٣٠٦-٣٠٨).

(٢) الرد على من يحب السماع/ القاضي طاهر الطبري، دراسة وتحقيق: مجدي السيد ط١ (طنطا - دار الصحابة للتراث - ١٤١٠هـ) ص(٣٢).

التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن، ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة، ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك: « خلفت ببغداد شيء أحدثته الزنادقة »[1].

كما أنكر الطرطوشي على الصوفية رقصهم وتواجدهم، وعدّ ذلك من البطالة والجهل والضلال، وقال أنه دين الكفّار وعبَّاد العجل، قال ذلك ردا على سؤال وجه له، جاء فيه: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأعلم... أنه اجتمع جماعة من رجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم بالرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئا يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين يرحمك الله، وهذا القول الذي يذكرونه:

يا شيخ كف عن الذنوب	قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا	مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى	ومشيب رأسك قد نزل

---

(١) انظر: السماع والرقص لابن تيمية مكتبة السنة المحمدية، ص(٤٧).

وفي مثل هذا ونحوه.

فأجاب رحمه الله: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأوّل ما أحدثه أصحاب السامريّ، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون؛ فهو دين الكفّار وعبّاد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، وينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها؛ ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم؛ هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق »[1].

وأنكر أبوالعباس القرطبي (ت٦٥٦هـ) على الصوفية رقصهم، وعدَّه من المبتدعات في الدين يقول: « لا يخفى على من له من العقل أدنى مسكه، إذا تأمل بأدنى فكره: إن الرقص بالحركات الموزونات على ألحان الغناء والقينات وتقطيع المزامير والطارات من أفعال أهل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٣٧-٢٣٨)، المعيار المعرّب للونشريسي (١١/ ١٦٢-١٦٣).

المجون والباطلات، وإن ذلك لا يليق بالعقلاء ولا يناسب أحوال الفضلاء، ولذلك قال الجنيد: « الرقص نقص » وقال الغزالي: « الرقص حماقة،....، وذلك أن العقلاء بما هم كذلك ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام ومشاكلة الصبيان والنسوان وعن الاتسام بسمة المخانيث أهل الفسوق والعصيان ».

حتى قال: « ومن الذي يرضى لنفسه بذلك أو يدخل في شيء مما هنالك: كلا والله لا يرضى بذلك عاقل، ولا يتعاطاه فاضل، ثم أي فائدة تحصل فيه في الدنيا، أو أي ثواب يترتب عليه في الأخرى، وإذا عرى عن ذلك تحقق أنه عبث وهوى ».

إلى قوله: « ... ولذلك لم ينقل من نبي من الأنبياء، ولا ولي من الأولياء، ولا عالم من متقدمي العلماء القول بإباحة الرقص على المزامير والأوتار، وهز المناكب والأرداف كلما صلصل الدف والطارة ومن ادعى نقل شيء من ذلك عن من يوثق بعلمه ويرجع إلى فتواه وفهمه طالبناه بتصحيح نقله وإثبات قوله »[1].

وقد سُئِلَ تقي الدين السبكي (ت٧٥٦هـ) عن الرقص والدف وعن حضور السماعات، فأجاب عنه بقوله:

---

(١) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس القرطبي ص(١٤٣-١٤٤).

واعلم بأن الرقص والدف الذي ∴ سألت عنه وقلت في أصوات
فيه خلاف للأئمة قبلنا ∴ شرح الهداية سادة السادات
لكنه لم يأت قط شريعة ∴ طلبته أو جعلته في القربات
والقائلون بحله قالوا به ∴ كسواه من أحوالنا العادات
فمن اصطفاه لدينه متعبدًا ∴ لحضوره فأعدوه في الحرات
والعارف المشتاق وإن هو هزه ∴ وجد فقام يهم في سكرات
لا لوم يلحقه ويحمد حاله ∴ بأطيب ما يلقى من اللذات[1]

وعدَّ الآجري (ت٣٦٠هـ): الذي يحضر الأفراح التي توجد فيها أنواع اللهو مثل: الطبلة، والمزمار، والمعازف، والعود، والطنبور، والمغني، والمغنيات، فقد عصى الله -عز وجل- وآذى بذلك الفعل المؤمنين فيكثر الدعاء عليه تقبيح ما أظهر مما نهى عنه[2].

وقال الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ) في الذين يستمعون الغناء وآلات اللهو ويرقصون على أنغامها من الصوفية: « فلو رأيت عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل

---

(١) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لأبي العباس أحمد بن حجر ص(٨٣).
(٢) انظر كتاب الشريعة لأبي بكر محمد الآجري، تحقيق محمد إسماعيل ط١ (بدون: دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ) ص(٤٤٥).

النشوات، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط حماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَيّا الكؤوس، فلغير الله، بل للشيطان، قلوب تمزق وأثواب تشقق وأموال في غير طاعة الله تنفق، ... ويا شماتة أعداء الإسلام بالدين، يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطربًا، واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن »[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض رده وإنكاره على هؤلاء الصوفية أهل السماع: « لو كان سماعك بالله، وعن الله، كما تقول: لدلت على صدقك شواهد ذلك: من سماع كلامه وأسمائه، وصفاته، ومواعظه، ... وما يدعو إلى صحبته، ويباعد عن سخطه، ولم يكن سماعك، لشيء لا يشار به إلى الخالق، وإنما يشار به إلى الخمر، والمسكر، والمليحة، والمليح وطيب وصالها، وعذوبته، وتوابع ذلك. فتعالى الله، وتنزه جنابه، وجَلَّت عظمته، أن يشار إليه بذلك، أو يستجلب رضاه، وقربه.

كلا والله، إن استجلب بذلك، إلا مقته، والبعد منه.

وكيف يجوز أن توجد الإشارات إلى الله سبحانه، والتغزل في النساء والمردان، وأين هذا مما يجب له -سبحانه- من الهيبة، والتعظيم، والوقار،

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٤).



والإجلال لعظمته، وخشيته، والخوف منه؟ وقد آل بهم هذا إلى أن أطلقوا في حقه -سبحانه- ما يطلقه هؤلاء العشاق في معشوقيهم، من الصد، والهجر، والوصال، وتوابع ذلك، ونشأت من ذلك الشطحات، والطامات، والرعونات التي هي ضد طريق العبودية »[1].

وأمّا احتجاج الصوفية بقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾[آل عمران: ١٩١] على بدعهم وغنائهم وتمايلهم، فهو في الحقيقة التي لا مراء فيها بعيد جدا ومردود لأسباب منها:

أن الآية الكريمة بيّنت أنهم « يتفكرون » والصوفية يعترفون بأنهم « يغيبون » ويحصل لهم ما يشبه السكر والغيبة.

أن الآية الكريمة ذكرت أنهم يذكرون الله على جنوبهم أيضا، والصوفية إنما يتمايلون قياما وقعودا.

أن السلف الصالح كانوا يعملون بما في القرآن، ولم يكن عملهم بهذه الآية على النحو الذي يفعله الصوفية، ولا فعله رسول الله ﷺ، ففي الآية دليل على أن الذاكرين يذكرون الله على كل أحيانهم، كما كان حال النبي ﷺ، فإنه كان يذكر الله على كل أحيانه: قائما وقاعدا، وعلى جنبيه.

أيضًا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- عند سماعهم القرآن،

---

(١) الكلام عن مسألة السماع لابن القيم ص(١٧١).



كأن على رؤوسهم الطير من الخشية، وما كانوا يزيدون على البكاء والخشوع. ففي حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب »[1].

قال أبوبكر الآجري: « ولم يقلْ: صرخنا! ولا ضربنا صدورنا! كما يفعل كثير من الجهَّال الذين يتلاعب بهم الشيطان »[2].

ولما تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله تعالى ﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ١٤]، مستدلين بذلك على رقصهم وتمزيقهم الثياب.

حرّم ذلك الفعل القرطبي (ت٦٧١هـ) في الجامع لأحكام القرآن بقوله: « وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء.

أين هذا، من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام!! وخاصة في هذه الأزمان، عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان! هيهات! بينهما -والله- ما بين الأرض والسماء. ثم هذا

(١) مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي (٤/ ١٢٦).

(٢) تلبيس إبليس ص(٢٥٢).



حرام عند جماعة العلماء »[1].

وقال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله عن هذا التعلق الصوفي بهذه الآية: « أين فيه أنهم قاموا يرقصوا، أو يزفنون، أو يدورون على أقدامهم » لكن هؤلاء الفقراء ليس لهم من التواجد إلا تهيج الطباع إلى ما يناسبها، وهي الحركات على اختلافها، وهذا هو المذموم؛ فهم إذا متواجدون بالنغم والألحان لا يدركون من معاني الحكمة شيئًا، فقد باؤوا إذًا بأخسر الصفقتين نعوذ بالله[2].

وقد ردّ ابن قدامة رحمه الله تعالى على بعض شبه المجيزين للغناء -ومنهم الصوفية- في رسالته إلى ابن الحنبلي التي أنكر فيها إباحته لبعض أنواع الغناء ومنها احتجاجه بحديث الجاريتين الذي احتج به الصوفية قائلا:

« وأمّا استدلالهم بحديث الجواري اللاتي ندبن آباءهن، فما منه ذكر الغناء، فإن كان النبي ﷺ أرخص لهن في ذلك، فليس منه ما يوجب المدح في حق عقلاء الرجال المتوسمين بالدين والعبادة، .. ولم يكن النبي ﷺ ولا غيره ينكرون على الصبيان لعبهم، ولا فعالهم التي تستقبح من غيرهم، مثل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٦٦).

(٢) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٧هـ) (١/ ٢١٥).

المصافحة، والمفاقسة[1]، بالبيض الأحمر، والعدو في الطرقات، وحمل بعضهم بعضا، وأشياء لو فعلها المميز البالغ لردّت شهادته، وسقطت عدالته »[2].

ثم ذكر ابن قدامة أن احتجاجهم لسماع النبي ﷺ لذلك لا يدل على أن الرسول ﷺ قصد سماع الجاريتين، فهناك فرق بين السماع والاستماع، فالسماع يكون من غير قصد، بخلاف الاستماع الذي يقصد صاحبه أن يسمع الكلام، وبيّن ابن قدامة أن فعل الرسول ﷺ كان السماع، لا الاستماع، قال مبيّنا هذا: « فإن قالوا: نحن إنما نحتج بسماع النبي ﷺ من الجويريات، فنحن نسمعه كما سمعهن، قلنا: أخطأتم في النظر، وجهلتم الفرق بين فعل النبي ﷺ وفعلكم، فإن المنقول عن النبي ﷺ السماع له، وأنتم تفعلون الاستماع، والسماع غير الاستماع »[3].

ومما يعضد ذلك أن النبي ﷺ عندما سمع الجاريتين اضطجع على فراشه، وحوّل وجهه عنهما، فلو كان ﷺ يقصد الاستماع لما فعل ذلك.

ثم يرد عليهم احتجاجهم بهذا الحديث؛ بإنكار أبي بكر رضي الله عنه ذلك وتسميته إياه « مزمار الشيطان » ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذه التسمية، فكيف يكون مزمار الشيطان قربة وطاعة إلى الله ؟!.

---

(١) المفاقسة بالبيض، مأخوذ من فَقَس البيضة يَفْقِسها إذا فضخها. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٠٣).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ١٥٨.

(٣) ن. م (٤/ ١٥٨).

ثم إن الجويريتين صغيرتان، دون البلوغ، غير مكلفتين، كانتا تغنيان بشعر من أشعار العرب في بيت عائشة رضي الله عنها، وهي صغيرة وسماع الصوفية وأشعارهم بخلاف هذا، فكيف يقاس فعل الجاريتين بما تفعله الصوفية في حلقات السماع من الرقص؟!.

قال ابن تيمية: فهذا قياس فاسد وتشبيه للشيء بما ليس مثله[1].

كذلك رد طاهر الطبري احتجاجهم بحديث عائشة قائلاً: « إن هذه حجة لنا، فإن أبا بكر -رضي الله عنه- سمى ذلك مزمار الشيطان، ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر في قوله، وإنما منعه النبي ﷺ من التغليظ في الإنكار، والتسرير للصبايا الذي هو يوم السرور.

ألا ترى إلى ما روي في هذا الحديث أن أبا بكر -رضي الله عنه- غمزهما فخرجتا، وقد كانت عائشة -رضي الله عنها- طفلة في ذلك الوقت، ولم ينقل عنها بعد بلوغها، وتحصيلها إلا ذم الغناء، والمعازف.

وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء، ومنع من سماعه، وقد أخذ العلم عنها، وتأدب بها، فبطل ما قاله هذا القائل »[2].

وعدّ الطرطوشي رحمه الله ما يفعله المتصوفة عند السماع من

(١) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/ ٢٨٦).

(٢) الرد على من يحب السماع ص(٥٣).



الرقص والطرب وتمزيق الثياب من السخافة وانعدام المروءة والوقار قائلا: « وأما الرقص والدقّ [1]، وكشف الرأس وتمزيق الثياب فلا خفاء على ذي لب أنه سخف ولعب ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الأنبياء والصالحون »[2].

وقد ردَّ أبو العباس القرطبي على الصوفية استدلالهم بحديث أنس -رضي الله عنه- لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي.... فقال إن الحديث لا يصح لإن محمد بن طاهر المقدسي، لا يحتج بحديثه؛ لأنه قد تُكُلِّم فيه ونسب إلى مذهب الإباضية وعنده مناكير في كتابه المسيء « صفة أهل التصوف »، وهذا الحديث منها:

وقال: « إن الواقف على متن هذا الحديث يعلم على القطع أنه مصنوع موضوع لأن الشعر الذي فيه لا يناسب شعر العرب، ولا يليق بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم وإنما يليق بمخنثي شعر المولدين »[3].

وقال في موضع آخر: « إن هذا الحديث مما لا يوجد مسندًا ولا أخرجه في كتابه أحد من أئمة المحدثين، وإنما هي أحاديث مروجة

---

(١) الدق: الضرب بالشي، وإظهار العيوب والعورات. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٩١).

(٢) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع ص (٢٦٣).

(٣) كشف القناع ص(١٦١).

وأكاذيب مبهرجة وضعها الزنادقة وأهل المجون المخرفة يرمون بذلك نسبة اللهو والمجون إلى الأنبياء الفضلاء »[1].

قال أحمد الأذرعي (ت ٧٨٣هـ): « وأطال القرطبي في ردِّ هذا الحديث الباطل المختلق، وما قاله حق لا ينازع فيه أحد من أهل المعرفة بالحديث، ولا شك فيه، فالله حسيب مفتريه »[2].

وقال ابن القيم رحمه الله عن حديث تواجد رسول الله ﷺ: « ومن ذلك حديث: حضر رسول الله ﷺ سماعًا، ورقص حتى شق قميصه، فلعن الله واضعه، ما أجرأه على الكذب السمج »[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر عن هذا الحديث: «... وركاكة شعره، وسماجته، وما تجد عليه من الثقالة، من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد، السمج، فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ... »[4].

أيضًا قال الشاطبي (ت٧٩٠هـ) رحمه الله عن حديث التواجد:

---

(١) كشف القناع ص(١٠١-١٠٢).

(٢) كف الرعاع ص(٧٠).

(٣) المنار المنيف لابن القيم ص(١٠٦).

(٤) الكلام على مسألة السماع لابن القيم، تحقيق ودراسة: راشد الحمد (دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ) ص(٣٢٣).



« فمنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوبة فيها على رسول الله ﷺ التي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها كحديث... أن النبي ﷺ تواجد واهتز عند السماع، حتى سقط الرداء عن منكبيه، وما أشبه ذلك، فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث -على ما هو معلوم- جاهل ومخطيء في نقل العلم الشرعي، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به، في طريق العلم، ولا طريق السلوك »[1].

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري في معرض إنكاره للسماع الصوفي، قول القرطبي: « وأما ما ابتدعته الصوفية في ذلك -السماع-، فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير فيهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وإن ذلك يثمر سني الأحوال. وهذا على التحقيق: من آثار الزندقة وقول أهل المخرقة، والله المستعان »[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الحديث:

« ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٨٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٢/ ٣٦٨).

حضروه قط، ومن قال أن النبي ﷺ حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته. والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في « مسألة السماع » وفي « صفوة الصفوة » ورواه من طريقه أبوحفص عمر السهروردي صاحب « عوارف المعارف »، أن النبي ﷺ: أنشده أعرابي

قد لسعت حية الهوى كبدي .... الأبيات

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال له معاوية: « ما أحسن لهوكم، فقال له مهلاً يا معاوية، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب ».

فهذا حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن »[1].

وقال محمد بن موسى الدَّمِيري (ت سنة ٨٠٨هـ): « من نسب السماع إلى رسول الله ﷺ يؤدب أدبًا شديدًا، ويعزَّر تعزيرًا بليغًا، ويدخل في زمرة الكاذبين عليه ﷺ »[2].

وعدّ أحمد الأذرعي هؤلاء المتفقرة ومن حذا حذوهم من المتفقهه

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٥٦٢، ٥٦٣).

(٢) الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي صححه وعلق عليه حسن السويدان، وقد م له عبدالقادر الأرناؤوط ط١ (دمشق - دار البشائر، ١٤٢٣هـ) ص(٤٨).

-ويقصد في ذلك المتصوفة-؛ من المتوهمين، المغرمين بالرقص، وما يقومون به خطأ صريح، وجهل قبيح[1].

ولقد شبّه الطرطوشي الصوفية ببني إسرائيل، عندما اتخذوا عجلا آلهة للعبادة دون الله، وقيامهم بالرقص والتواجد له، وذمّهم على هذا الفعل بقوله: « فانظروا -رحمكم الله!- كيف يجوز على نبي من أنبياء الله أن يتخذ عجلا للعبادة من دون الله تعالى ثم يرقص هو وهم تعظيما للعجل على أنه إلاههم!، فما أشبه عقول قوم قد جعلوا الرقص عبادة لله تعالى بعقول بني إسرائيل في تجويزهم على نبي الله تعالى!، أن يتخذ إلها يتعبد له بالرقص والقربى من دون الله ﷻ فمن زعم أن الرقص عبادة لله سبحانه! يرقصون بين يديه ويتواجدون له فإلهه عجل، جسد له خوار »[2].

وهذا أبوالوفاء ابن عقيل (ت٥١٣هـ) رحمه الله، الذي عندما سمع بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعها حداها الحادي إلى الله بالأناشيد، ردّ عليه بقوله: « لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ، لأن الله -ﷻ- قال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[3]،

---

(١) انظر: كف الرعاع ص(٧٤).

(٢) ن. م ص (٢٦٩-٢٧٠).

(٣) سورة الأنفال، آية (٢).

وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت. فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمّن ضيقة المخلوق والمعشوق مما يتعذّر عنه فتنه، ومن سوّلت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون»[1].

وكفّر ابن عقيل من يعتقد أن الدعاء وقت السماع مجاب بناءً على أنه قربة يتقرّب بها إلى الله تعالى؛ لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافرا »[2].

وردّ ابن الجوزي على الصوفية، عندما زعموا أن السماع مستحب لهم لحياة قلوبهم. قال هذا غلط من خمسة أوجه:

أحدها: أن أبا حامد الغزالي قال بإباحة سماعه لكل أحد. وأبو حامد أعرف من القشيري الذي روى ذلك.

الثاني: أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادّعى تغير الطباع ادّعى المحال. فإذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة.

الثالث: أن العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى، فمن ادّعى خروج طبعه

(١) تلبيس إبليس ص ٢٤٦.

(٢) ن. م ص (٢٤٨-٢٤٩).

عن طباع الآدميين ادّعى المحال.

الرابع: أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب، وإنما غايته الإباحة، فادّعاء الاستحباب خروج عن الإجماع.

الخامس: أنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحا أو مستحبا عند من لا يغير طبعه؛ لأنه إنما حرم لأنه يؤثر في الطباع ويدعوها إلى الهوى»[1].

كما ردّ ابن الجوزي على افتراء القشيري بجواز السماع الذي أعقبه بالاحتجاج بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾ [الغاشية: ١٧]، قائلاً:

هذه الآية لا تدل على الغناء ولا على الرقص ولا على السماع الصوفي، لكن هؤلاء وضعوها في غير مواضعها، وحادوا بها عن سواء السبيل.

وما أدق عبارة ابن الجوزي حين قال:

« والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن »[2].

وشدد ابن بطة (ت٣٨٧هـ) الإنكار على الصوفية في هذه المسألة قائلاً: « سألني سائل عن استماع الغناء، فنهيته عن ذلك، وأعلمته أنه مما أنكره العلماء، واستحسنه السفهاء، وإنما يفعله طائفة سموا

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص (٢٤٨-٢٤٩).

(٢) تلبيس إبليس ص (١٥٩).

بالصوفية، وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة، وشرائع بدعية، يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة، يدّعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء، يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون، ويصعقون، ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه تعالى الله عما يقولون علوّا كبيراً »[1].

وعدّ ابن الجوزي تصفيق الصوفية عند السماع خروجا من السمت والاعتدال، قائلا: « والتصفيق منكر... يخرج من الاعتدال، ويتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين، فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية، وهي التي ذمّهم الله ﷻ بها فقال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[2].

فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق... ومنه أيضا تشبّه بالنساء، والعاقل يأنف من أن يخرج من الوقار إلى أفعال الكفّار والنسوة »[3].

كما عدّ القاضي عياض قسم من الصوفية؛ جهلة، وذلك عندما استحوذ عليهم الشيطان، وغلب عليهم الطغيان والعصيان، فاحتفلوا بالرقص والسماع والشهوات التي تثيرها الطباع، لا يقتفون بذلك

---

(١) تلبيس إبليس ص (٢٣٧).

(٢) سورة الأنفال، آية (٣٥).

(٣) تلبيس إبليس، ص (٢٥٨).

شرعا ولا يجتنبون أمرا بدعا. وعدّهم من ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤﴾[1][2].

كما أنكر القاضي عياض رحمه الله على الصوفية قولهم بجواز السماع، وذكر ذلك في ترجمة مالك رحمه الله: «قال التنيسي: كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين[3]: عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيرا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون؟.

وقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين هم؟ قال: لا، هم قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء، فقال مالك: ما سمعت أن أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا!»[4].

وعندما استفتي الشيخ أبوإلياس محمد بن الحسين البزدوي (ت٤٩٩هـ) في شأن متصوفة زمانه، قال فيهم: «إن الصوفية أنواع وأصناف: فيهم قوم يضربون بالمزامير، ويشربون الخمور ويأتون بعض

---

(١) سورة الكهف، آية (١٠٤).

(٢) انظر: الموفي بمعرفة التصوّف والصوفي ص (٧٠-٧١).

(٣) نصيبين: مدينة عامرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر: معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

(٤) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٥٤ .

الفواحش، ويلبسون ثياب الفسقة...، ورضوا بملء بطونهم من الطعام، حلالاً كان أو حرامًا ويسكنون في الخانات ولا يكتسبون؛ بل ينامون في غالب الأزمان، يصلون قليلاً ويأكلون أكلاً لَمًّا لَمًّا. إن وجدوا فيزفنون -أي يرقصون- إن وجدوا قارئًا فاختاروا الكسل ولا يتعلمون ولا يتزوجون»[1].

وما أحسن إنكار ظهير الدين الموصلي (ت٦١٠هـ) وقد شاهد أفعالهم المنكرة، ونظّم بذلك شعرًا هجا فيه شيخ زاوية الفقراء بالبوازيج البليدة القريبة من السلاَّمية، قال فيه:

ألا قل لهم قول عبد نصوح ∴ وحق النصيحة أن تستمع

متى علم الناس في ديننا ∴ بأن الغناء سنة تتبع؟

وأن يأكل المرء أكل الحمار ∴ ويرقص في الجمع حتى يقع؟

وقالوا: سكرنا بحب الإله ∴ وما أسكر القوم إلا القصع

كذلك البهائم إن أشبعت ∴ يرقصّها ريّها والشبع

ويسكره النأي ثم الغناء ∴ ويس لو تليت ما انصدع

فيا للعقول ويا للهني ∴ ألا منكر منكم للبدع؟

---

(١) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، محمد بن صفي الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية ط١ (الرياض - دار عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص(٤٠-٤١).

تهـــان مساجـدنا بالسمـــاع ∴ وتكـرم عن مثــل ذاك البيــع[1]

وعندما احتجّ جهّال الصوفية على جواز طربهم ورقصهم بقولـه تعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ ﴾[ص: ٤٢]، ردّ عليهم ابن عقيل مزاعمهم قائلا: « أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأنه يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازا من الرقص؟!.

ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالـة على جواز الرقص في الإسلام؛ جاز أن يجعل قوله سبحانه لموسى: ﴿ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ ﴾[الأعراف: ١٦٠]، دلالة على ضرب المحادّ بالقضبان!! نعوذ بالله من التلاعب بالشرع »[2].

وذمّ ابن عقيل رحمه الله الرقص، واستدل بتركه بقولـه تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ ﴾ [الإسراء: ٣٧، لقمان: ١٨]، قائلا: « قد نصّ القرآن على النهي عن الرقص فقال: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾، وذمّ المختال والرقص أشد المرح والبطر. أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٦٦)، وإغاثة اللهفان (١/ ٢٣١)، وانظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٧-٣٨)، والموفي بمعرفة التصوف والصوفي ص (١٣، ١٤)، مع اختلاف يسير في الألفاظ فيما بين هذه المصادر.

(٢) تلبيس إبليس ص (٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٢١٥).



الإطراب والسكر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما!!.

فما أقبح من ذي لحية، وكيف إذا كان شيبة؟؟ يرقص ويصفق على إيقاع الألحان والقضبان وخصوصا إن كانت أصوات النسوان ومردان، وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط، ثم هو إلى إحدى الدارين يشمس[1] بالرقص، شمس البهائم، ويصفق تصفيق النسوان، والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع إدمان مخالطي لهم »[2].

ولما سئل ابن عقيل عن تواجد الصوفية، وتخريقهم ثيابهم، أنكر ذلك أشدّ الإنكار، وعدّه من الخطأ والحرام، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال. فقال له قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. فقال: إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم إن الطرب يغلب عليهم، فيزل عقولهم، أثموا بما أدخلوه على أنفسهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع، لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنّب هذا الموضوع الذي يفضي إلى ذلك، كما هم منهيون عن شرب المسكر، كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوّف وجدا إن صدقوا إن فيه سكر طبع، وإن كذبوا أفسدوا مع

---

(١) شمست الدابة شموسا، وشماسا: جمحت ونفرت. انظر المعجم الوسيط ١/ ٤٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٦٣.

الصحو، فلا سلامة فيه مع الحالين، وتجنّب مواضع الريب واجب »[1].

وشدد ابن عقيل رحمه الله الإنكار على الصوفية في هذه المسألة قائلاً:

« هذه فتنٌ ومحنٌ دخلت على العقول من غلبات الطباع والأهواء، وهل يحكم على العقول حق قط؟ وهل رأيتم في السلف أو سمعتم رجلاً زعق أو خرق؟ بل سماع صوت وفهم واستجابة، فدلَّ على أن ذلك التخبط ليس من قانون الشرع، لكن أمر بخفض الصوت وغضِّه، وأما التواجد والحركة والتخريق فالأشبه بداعية الحق الخمود، ثكلت نفسي حين أسمع القرآن ولا أخشع؛ وأسمع كلام الطرقيين فيظهر مني الانزعاج »[2].

وعزا ابن الجوزي ذلك التواجد المفضي إلى تخريق الثياب والصياح إلى تمكّن الشيطان في عقول هؤلاء الجهلة، فقال:

« وهذا التواجد الذي تضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم، وتخبطهم، فظاهره أنه متعمّل ، والشيطان معين عليه. فإن قيل: فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه؟ قيل: نعم من وجهين: أحدهما: أنه لو قوي العلم؛ أمسك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٨٨، وتلبيس إبليس ص ٢٦١.

(٢) الآداب الشرعية لأبي عبدالله محمد بن مفلح، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ط٢ (بيروت-مؤسسة الرسالة-١٤١٧هـ) (٢/ ٣٠٨).

والثاني: أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين، ويكفي هذا نقصا»[1].

ويقول أبو العباس القرطبي وهو يتهكم على الصوفية وجدهم: «التواجد: استدعاء الوجد، لضربٍ من الاختيار؛ وذلك أنهم إذا اجتمعوا للسماع، فمنهم المتكلف حركة ظاهرة، مستجلبًا بذلك حضور باطنه؛ فيميل يمينًا، ويترنح يمينًا وشمالاً، ويحرك رأسه ومنكبيه، ويضرب صدره، ويصفق بيده، إلى أن يستغرقه -بزعمه- الوجد...، وهذه أفعال مليحة، واجتماعات ذميمة، وأحوال صادرة عن اعتقادات سقيمة، فما هي إلا أحوال دحيضة، وعقول مريضة، ودعوى عريضة، وبذلك على ما ذكرناه: أن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان: لم يكونوا على شيء من تلك الأساليب والطرائق، ...ولا نطقوا بتلك العبارات، ولا ارتضوا تلك الإشارات، ولا اجتمعوا لذلك، ولا حوَّموا على شيء عما هنالك، مع أنهم قدوة العارفين، وخيرة الله من العالمين، الفاهمون عن الله، الآخذون عن رسول الله ﷺ الذين اختارهم له، لحمل أمانته، وبيان شريعته، فلو كان الأمر على ما اخترعه أصحاب التواجد، لكان أولئك الملأ، أوّل سابق إليه، وأول واجد، وتناطقوا بتلك العبارات، وأشاروا بتلك

---

(١) تلبيس إبليس ص (٢٥٧).

الإشارات، ولفشا ذلك في السابقين المتشرعين، كما فشا في المتأخرين المبتدعين، فلما لم يكن شيء من ذلك، علمنا أنه من المحدثات التي هي بدع وضلالات... »[1].

وعندما احتج الصوفية على رميهم الثياب وتمزيقها بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾[2].

ردَّ ابن الجوزي عليهم احتجاجهم قائلاً:

« استدل بعض جهّال المتصوّفة بهذه الآية على جواز رمي الثياب إذا اشتد طربهم على المغني. ثم منهم من يرمي بها صحاحا، ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها. قال هؤلاء في غيبة فلا يلامون، فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسّرها ولم يدر ما صنع ».

قال ابن الجوزي: من يصحح عن موسى -عليه السلام- أنه رماها رمي كاسر؟ والذي ذكر في القرآن ألقاها. فمن أين لنا أنها تكسرت؟ ثم لو قيل: تكسّرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره، ويحذّرون من بئر لو كانت

---

(١) كشف القناع ص(١٥٣-١٥٤).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٥٠).

عندهم، ثم كيف تقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء »[1].

وردّ ابن الجوزي على الصوفية احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2]. على جواز الوجد والرقص وتمزيق الثياب بقصة مكذوبة على سلمان الفارسي على أنه عندما سمعها صاح صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيّام[3]. فردَّ ذلك الاحتجاج من وجوه:

الأول: أن هذا محال وكذب.

الثاني: ليس لذلك إسناد.

الثالث: الآية نزلت بمكة وسلمان أسلم بالمدينة.

الرابع: لم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا[4].

وقال سلطان العلماء الشيخ عزالدين بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ) أن الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل فهو يقول في ذلك: « وأما الرقص والتصفيق فخفة، ورعونة، مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا أرعن أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعلها أن الشريعة لم ترد بهما لا في كتاب

---

(١) تلبيس إبليس ص (٢٦٠).

(٢) سورة الحجر، آية (٤٣).

(٣) راجع ص(١٧).

(٤) انظر: تلبيس إبليس ص (٢٥١).

ولا في سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء، وقد حرم بعض العلماء التصفيق على الرجال لقوله ﷺ « **إنما التصفيق للنساء** »[1]

وقال رحمه الله عن صياح الصوفية أثناء السماع: « وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه وإلجائها إياه إلى الصياح ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء، وكذا من أظهر شيئًا من القوم رياءً وتسميعًا فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار »[2].

وفي كتاب (الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة) نقل محمد بن صفي الدين الحنفي كلامًا جميلاً ينكر فيه على الصوفية هذا السماع جاء فيه: « ويجب منع الصوفية الذين يدَّعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب عند سماع الغناء، لأن ذلك -أي رفع الصوت وتمزيق الثياب- حرام عند سماع القرآن فكيف عند سماع الغناء الذي هو حرام، خصوصًا في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق، وظهرت فيه أنواع البدع، واشتهرت فيه طائفة تحلَّوا بحلية العلماء، وتزيّنوا بزي العلماء، والحال أن قلوبهم ملئت من الشهوات الفاسدة،

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام تحقيق طه عبدالرؤوف سعد (دار الشرق - مصر ١٣٨٨هـ) (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٢٢).

وهم في الحقيقة ذئاب، نعوذ بالله من شرهم »[1].

وانتقد ابن عقيل رحمه الله تعالى أحوال الصوفية التي يتمايلون فيها ويصيحون عند السماع وما يحدث لهم من صعق وغشيان، وحكم عليهم بالتعزير، قائلا:

« إن الشريعة تنهى عن تحريك الطباع بالرعونات وتمنع دق الطبول، ونهت عن الندب والنياحة والمرح وهو الخيلاء وعلمنا أن الشرع يريد الوقار دون الخلاعة، ويتساءل ابن عقيل بعد ذلك في صيغة الدهشة والتعجّب، قائلا:

« فما بال التغيير والوجد وتخريق الثياب والصعق والتماوت مع هؤلاء المتصوفة!!؟ وكل تهيج من هؤلاء الوعاظ المنشدين من غزل الأشعار، وذكر الفسّاق، فهم كالمغني والنائح، فيجب تعزيرهم؛ لأنهم يهيجون الطباع »[2].

وردَّ الطرطوشي على الصوفية الاستدلال بالقياس على أن الجمل يقاسي التعب فيحدى له قائلاً: « انظروا يا ذوي الألباب كيف قادهم الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام، والصبيان في المهد -يقصد بذلك الغزالي-

---

(١) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، تأليف محمد بن صفي الدين الحنفي ص(٢٣).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٣٠٧).

وهكذا يفضح اللَّهُ تعالى من اتبع الباطل، وحسبك من عقول لا تقتدي بأخبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل، فإن كان كل ما طربت له البهائم مندوبًا او مباحًا، فإننا نرى البهيمة تنزو على أمها وأختها وتركب بنتها، أفيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هكذا »[1].

كما بيَّن علي بن أبي العز (ت٧٩٢هـ) في الطحاوية، أن الصعق لم يكن من صفات السلف الصالح، ولو عند سماع القرآن، فقال في معرض ردَّه على الصوفية: « وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم اللَّهُ تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢** ﴾ [الأنفال: ٢]»[2].

وعندما آثر الصوفية السماع على قراءة القرآن؛ لزعمهم أنه أكثر رقة للقلوب منه؛ عزا ذلك ابن الجوزي إلى ميل هؤلاء القوم إلى الهوى وإشباع الرغبة بما هو باطل، فقال: « وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم، فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم بما لا ترق عند القرآن،

---

(١) كتاب تحريم السماع للطرطوشي ص(٢٣٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص(٧٧١).

وما ذاك إلا لتمكّن هوى باطن، وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا »[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، منكرًا على الصوفية الذين آثروا السماع على قراءة القرآن:

تُلِيَ الكتاب فأطرقوا لا خيفةً ∴ لكنه إطراق ساهٍ لاهي

وأتى الغناء فكالذباب تراقصوا ∴ والله ما رقصوا لأجل الله

دفٌّ ومزمار ونغمة شاهد ∴ فمتى شهدت عبادة بملاهي

ثَقُلَ الكتاب عليهم لما رأوا ∴ تقييده بأوامر ونواهي

وعليهم خفَّ الغناء لما رأوا ∴ إطلاقه في اللهو دون مناهي

يا فرقة ما ضر دين محمد ∴ وجنى عليه ومله إلا هي

سمعوا له رعدًا وبرقًا إذ حوى ∴ زجرًا وتخويفًا بفعل مناهي

ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ∴ شهواتها يا ويحها المتناهي

وأتى السماع موافقًا أغراضها ∴ فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه

إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ∴ خمر العقول مماثل ومضاهي

فانظر إلى النشوان عند شرابه ∴ وانظر إلى النشوان عند تلاهي

وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ∴ من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي

فاحكم بأي الخمرتين أحق بالـ ∴ تحريم والتأثيم عند الله[2]

---

(١) تلبيس إبليس ص (٢٤٧).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٨٧-٤٨٨).

وتوعَّد ابن كثير رحمه الله هؤلاء الذين لا يتأثرون بالقرآن ويتأثرون بالأبيات والأشعار الغرامية بالخزي والفضيحة يوم القيامة قائلاً: « فمن يهيج عند سماع الأبيات، ولا يتأثر بسماع الآيات، ينوح، ويبكي عند سماع الصوت الرغيد، ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد، فمن كانت هذه صفته، فليس على الطريقة الصحيحة، بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقلعوا: نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة... »[1].

الرد على بدعة الذكر عند الصوفية:

عدَّ الشاطبي الغناء والرقص أثناء الذكر بدعة محدثة، وذلك في جواب لسؤال ورده عن سماع الصوفية وهذا نصه: « ... وقع السؤال عن قوم يتسمَّون بالفقراء، يزعمون أنهم سلكوا طريقة الصوفية، فيجتمعون في بعض الليالي، ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد، ثم في الغناء والرقص، إلى آخر الليل...، هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا؟

فأجاب الشاطبي رحمه الله: « بأن ذلك كله من البدع المحدثات، المخالفة طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه والتابعين

---

(١) جواب لابن كثير عن مسألة السماع، بذيل كتاب الكلام على مسألة السماع ص(٧٤٦).



لهم بإحسان »[1].

وقد بين ابن تيمية رحمه الله خطأ من دعا الله بإسمه المفرد مظهرًا أو مضمرًا؛ لأنه كما يقول: « ليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعًا، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره »[2].

ويقول رحمه الله أيضًا: « وهذا النوع من الذكر أبعد من السنَّة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال يا هوهو أو هوهو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدًا إلا إلى ما تصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل »[3].

قلت: والمشروع من ذكر الله هو ذكره بجملة تامة وبكلام يفيد

---

(١) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي ط١ (بيروت-دار الكتاب العربي- ١٤١٧هـ) (١/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٣) المرجع نفسه ص(٢٢٧).

معنى وينتفع به المؤمن فيزداد خشية ومحبة ومعرفة بربه، أما الاقتصار على الاسم المفرد -كما هو حال الصوفية- فلا أصل له في الدين. وجماع الدين أصلان أن لا نعبد إلا الله ولا نعبد إلا بما شرع كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وكان لابن القيم رحمه الله موقف المنكر للذكر الصوفي وهذا هو موقفه الواضح المبين: يرى أنه « فاسد مبني على فاسد، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئًا، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقيدة الإسلام جملة فلو قال الكافر: الله... الله... من أول عمره إلى آخره لم يصير بذلك مسلمًا فضلاً عن أن يكون من حمله الذكر أو يكون أفضل الأذكار، وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، فالذكر بقوله: هو... هو... أفضل من الذكر بقولهم: الله... الله.

وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائر، وأما فساد المبني عليه، فإنهم ظنوا أن قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١]، مثل هذا الاسم فقل: الله الله، وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله، فإن اسم الله هنا جواب لقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا

وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١] إلى أن قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١] أي: قل الله أنزله »[1].

وقد أنكر المفسر القرطبي الذكر عند الصوفية وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾ [الأنفال: ٢]

قال رحمه الله: « وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ».

وبعد ذكر بعض الآيات في هذا الشأن قال: « فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهّال العوام والمبتدعة الطغام، من الزعيق والزئير -أي الصياح- ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم بجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ: الفهم عن الله، والبكاء خوفًا من الله ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٩٨٢م) ص(٣٢٨-٣٢٩).



﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم. ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم. فمن كان مستنًا فليستن بهم. ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالاً، والجنون فنون »[1].

وفي كتابه الإبانة الصغرى: عدَّ ابن بطة استعمال القينات واستعمال الغناء والصراخ ولطم الخدود وتشقيق الثياب عند استماع الذكر والقرآن مما أحدثه الناس وابتدعوه.

ونقل عن ابن المبارك قوله: « هؤلاء الذين يصعقون عند استماع الذكر تقعدهم على الجدران العالية وتقرأ عليهم وتنظر هل يتردون؟ وصنف من الناس يظهرون التقشف، اتخذوا الاستماع إلى القصائد والاجتماع على ذلك سنة لهم، ليلهوا بذلك أنفسهم ويطربوا قلوبهم، ومنهم من يرقص ويصفق بيديه ويخرق ثيابه ويقولون في قيلهم: قال الله -عز وجل- وقالت الحوراء، وقال الولي شيئًا لم يقله الله ولا جاء في أثر ولا سنة، ولم تقله حوراء ولا قاله ولي، وهذا مبتدع كذب وزور»[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٣٦٥).

(٢) الإبانة الصغرى، عبيدالله بن بطة، ط١ (الرياض - در أطلس - ١٤٢٢هـ) ص(٢١٣، ٢١٧، ٢١٨).

ولا يزال في عصرنا ينتشر ما يسمى « مجالس الذكر »، وهي عبارة عن حلقات جماعية يختلط فيها الرجال والنساء، ويتخللها الأدعية الجهرية والبدعية، مصحوبة بالنغمات الموسيقية، يقول الدكتور صابر طعيمة في كتابه: « الصوفية معتقدًا ومسلكًا »: أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الاحتفال بمولد كبارهم أن يجتمع الأتباع لسماع النوتة الموسيقية التي تكون قوتها أحيانًا أكثر من مائتي عازف من الرجال والنساء، وكبار الأتباع يجلسون في هذه المناسبات يتناولون ألوانًا من شرب الدخان، وكبار أئمة القوم وأتباعهم يقومون بمدارسة بعض الخرافات التي تنسب لمقبوريهم، وقد انتهى إلى علمنا من المطالعات أن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية الحديثة مستمد مما يسمى « كورال صلوات الآحاد المسيحية »[1].

وقال عبدالفتاح أبوغدة في تعليقه على « رسالة المستر شدين»: « بقي شيء آخر أرى التنبيه عليه، وهو شائع اليوم في كثير من حلق الذكر في زماننا! وذلك أنهم يقولون: اللهُ اللهُ اللهُ...، ويكررونها هكذا، فتكون كلمة الجلالة في أول ذكرهم مفهومة، ثم يسرعون بالنطق بها سرعة بالغة متلاحقة، ثم يسرعون بها جدًا، حتى تتداخل اللفظة في

---

(١) الصوفية معتقدًا ومسلكًا، د/ صابر طعيمة ط٢ (الرياض - عالم الكتب- ١٤٠٥هـ) ص(٣١٣).

اللفظة مع اقتطاع بعض حروفها، فتصير كلمة الجلالة المعظمة صوتًا مبهمًا، يتردد في الفم بسرعة قصوى، لا يفهم منه شيء فهو ذكر محظور، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من هؤلاء الناكرين لله!! »[1].

أيضًا هذه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية تنكر على الصوفية ما يفعلون أثناء الذكر من رقص وغناء وتمايل باعتباره حلال وذلك بالفتوى رقم (٣٥٤٤) والتي جاء فيها:

سؤال: هل ما يفعله الصوفية من رقص وغناء وتمايل ذات اليمين والشمال ذكر كما يسمونه حلال أم حرام؟

الجواب: خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وقد أكمل الله الدين لعباده قولاً وعملاً واعتقادًا قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

والرسول ﷺ بين هذا الدين بقوله وفعله وتقريره، وصحابته - ﷺ- نقلوا عنه ﷺ ما صدر منه من الأقوال والأفعال والإقرار، فالدين كامل من جهة قواعده ومن جهة بيانه ونقله. والذكر نوع من العبادات والعبادات مبنية على التوقيف. ومن خصص شيئًا من العبادات وحدد

---

(١) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، تقديم: حسنين مخلوف ص(١١٦).

له وقتًا معينًا أو كيفية خاصة لأدائه فهو مطالب بالدليل، وما ذكر في السؤال لا نعلم له أصلاً شرعًا يعتمد عليه. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[1] فما ذكر في السؤال من النوع المردود »[2].

وقد أساء الصوفية إلى الإسلام إساءةً بالغة؛ مما سبب نفور غير الإسلاميين منه، لما شاهدوا من سلوكهم المنحرف، وذكرهم بتكرار لفظ: الله، الله فظنوه هو الإسلام ونفروا منه مما حدا بأحدهم وهو باحث مستشرق فرنسي يدعى « كيمون » للقول في كتابه « باتولوجيا الإسلام »: ما ملخصه:

« إن الديانة المحمدية: -يقصد الإسلام- جزام تفشى بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣/ ١٦٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط١ (مكتبة المعارف - الرياض - ١٤١٢هـ) (٢/ ١٨٧-١٨٨).

الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظه: « أللَّهْ » إلى ما لا نهاية... »[1].

قلت: كبرت كلمة تخرج من أفواههم جميعًا.

ومن الشواهد على أن هذا الذكر الصوفي انعكس سلبًا على الإسلام وأهله -ما قاله الأستاذ محمد شقفة في كتابه: «التصوف بين الحق والخلق» ما نصه:

« وقد حدثني من أثق به من رجالات حماة -بسوريا- أن الجنرال الفرنسي « سراي » عندما زار حماة أراد التعرف على معالمها فرافقه أحد الوجهاء المثقفين، وعندما وصلا إلى إحدى الزوايا -الصوفية- شاهدا فيها إحدى حلقات الذكر -عند الصوفية- والذاكرون وقوفًا يتمايلون ويرقصون فتعجب الجنرال وسأل المرافق. هل هذا من الدين الإسلامي؟، فأجابه المرافق النبيه بسرعة: لا أبدًا إنه ملهي « تياترو » تحت ستار الإسلام البريء من هذه الخرافات والمساخر »[2].

الرد على دعوى جواز النظر إلى الأمرد:

هذا السلوك المصادم للفطرة اشتهر عند الصوفية وتواترت أخباره عند مصنفيهم كما سبق أن بينا.

---

(١) التصوف بين الحق والخلق/ محمد فهد شقفة، ط٣ (حولي - الدار السلفية- ١٤٠٢هـ) ص(١٦٢-١٦٣).

(٢) التصوف بين الحق والخلق ص(١٥٩).

وقد واجهت تلك البدعة نفورًا واشمئزازًا من العقول السليمة فتصدى لها العلماء بالنقد والرد وتشنيع من قال بها ودعا إليها.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه[1].

وحذر البربهاري (ت٣٢٩هـ) من مجالسة هؤلاء المبتدعة الذي يدعون إلى كل هوى وفتنة مع النساء والمردان، يفهم ذلك من كلامه رحمه الله الذي قال فيه: « واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ومن يخلو مع النساء، وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم على الضلالة »[2].

وأنكر الطرطوشي رحمه الله دعوى الصوفية بجواز النظر إلى الأمرد بحجة الاستدلال على الله، وعقد فصلاً عن ذلك في كتابه: تحريم الغناء والسماع ومما جاء فيه: « أما قولهم: « أنهم يستدلون بالصنعة على الصانع » فنهاية في متابعة الهوى، ومخادعة العقل ومخالفة العلم. ثم ساق بعض الأدلة من القرآن التي ترفض هذه الدعوى من أساسها »[3].

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(٢٦٦).

(٢) شرح السنة للبربهاري ص(١٠٨).

(٣) انظر: كتاب تحريم الغناء والسماع للطرطوشي ص(٢٦١).

ومما ذكره ابن الجوزي في رده وإنكاره على الصوفية في صحبتهم للأحداث واستمتاعهم بالنظر إلى المردان قوله: «... قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية، وهذه من خلال الصوفية المذمومات»[1].

وقال أن صحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصيد بها الصوفية[2].

ولما كانت دعاوى الصوفية في نظرهم للأمرد هي للاعتبار وزيادة الإيمان وإنه لا خوف عليهم من رؤيتهم، ردّ عليهم ابن عقيل مزاعمهم قائلاً: «قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة، ليس بشيء فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص.

وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوي قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧-١٩].

---

(١) تلبيس إبليس ص(٢٦٩).

(٢) انظر: المرجع نفسه ص(٢٧٦).

فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة. ولا تعتبر بها لذة، فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة، وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها، لأنها قد تكون سببًا للفتنة، وكذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضيًا ولا إمامًا ولا مؤذنًا، كل ذلك لأنها فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبرًا كذبناه، وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه، وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين »[1].

وفي ردِّه على الصوفية الذين زعموا أن النظر إلى وجه الأمرد فيه زيادة الإيمان بيَّن طاهر الطبري بطلان وزيف هذه المزاعم بقوله:

« وقد بلغني أن هذه الطائفة -الصوفية- تضيف إلى السماع النظر إلى وجه الأمرد وربما زينوه بالحلي، والمصاغات من الثياب، وزعموا أنهم يقصدون بهذا الازدياد من الإيمان بالنظر والاعتبار، والاستدلال بالصنعة على الصانع. وهذه النهاية في متابعة الهوى، ومخادعة العقل.

ثم ساق رحمه الله بعض الآيات التي تدعو للتفكر في خلق الله وأعقبها ببعض الأحاديث النبوية التي تحذر من هذه السلوك الشائن

---

(١) تلبيس إبليس ص(٢٦٨-٢٦٩).

وأورد بعض أقوال التابعين التي تحذر من النظر إلى الأمرد ومنها:

قول عقبة بن الوليد: قال بعض التابعين: « كانوا يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد الجميل.

وقال مسلم بن قتيبة: سمعت سفيان الثوري يقول:

« ولو أن الرجل عبث بغلام أمرد بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوة، لكان لوطيًا ».

وقال الحسن بن ذكوان: « لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم صورًا كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى ».

وقال بعض التابعين: « اللوطية على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يفعلون ذلك الفعل ».

وبعد أن ساق هذه الأدلة قال: وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه من سماع الغناء، والنظر إلى الوجوه الملاح بعد تناول الألوان الطيبة، والمآكل الشهية، فإذا شفت نفوسهم طالبتهم بما تبتغيه من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر في وجوه المرد دون الشهوات »[1].

وقد جرح الحافظ ابن ناصر (ت٥٥٠هـ) عدالة محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي، عندما أجاز النظر إلى المرد بقوله: أنه ممن لا

---

(١) الرد على من يحب السماع ص(٦٥-٦٨).

يحتج به، فقد صنّف كتابًا في جواز النظر إلى المرد أورد فيه حكاية يحيى بن معين، أنه قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل له: تصلي عليها؟!! قال: صلى الله عليها وعلى كل مليح، ثم قال: ابن ناصر رحمه الله، كان ابن طاهر هذا يذهب مذهب الإباحية، يعني في النظر إلى الملاح[1].

ولا ينبغي أن يفوت على المسلم ما أمر الله به عباده المؤمنين من غض للأبصار عن كل ما هو سبب للفتنة سواء كان امرأة أو شابًا أو أمردًا، يخاف من النظر عليه الوقوع في الفتنة.

فقد قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

وما أحسن كلام الشيخ عبدالرحمن دمشقية -حفظه الله- في حق هؤلاء عندما قال فيهم: « إذا رأى رقص صوفية زماننا -الحاضر- في المساجد والدعوات بألحان ونغمات مختلطًا بهم (المُردْ)[2] وأهل

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(١٦٥-١٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦٤).

(٢) جمع أمرد وهو الغلام الذي لم تظهر علامات الرجولة فيه كظهور اللحية وخشونة الصوت.

الأهواء من جهّال العوام والمبتدعة الطغام لا يعرفون الطهارة والقرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإيمان والإسلام، لهم زعيق وزئير ونهاق يشبه نهاق الحمير، يبدلون كلام الله ويغيِّرون ذكر الله تعالى، ثم يتلفظون بألفاظ مهملة وهذيانات كريهة مثل: هاي، وهوي وهي وهيا- يقول: لا محالة هؤلاء اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وإن لم يكن له ممارسة بالفقه. وعلم تفصيلي بحالهم، فالويل للقضاة والحكام حيث يعرفون ويشاهدون ولا ينكرون ولا يغيرون مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم ويلتمسون الدعاء منهم»[1].

---

(١) الصاعقة المحرقة ص(٤٥).





نقد الصوفية لبعضهم

لما كانت الحكمة ضالة المؤمن، أنَّا وجدها فهو أحق بها، فمن المناسب سوق بعض أقوال مشايخ الصوفية المعتبرين، على هذه البدعة عندهم لتقوم الحجة عليهم من باب الجام الخصم بأقوال أهله:

فهذا أبوعلي الروذباري (ت٣٢٢هـ) وهو من كبار الصوفية يقول في السماع: « ليتنا تخلصنا منه رأسًا برأس »[1].

أيضًا يستنكر على من يستمع للملاهي من هؤلاء السذَّج، ويزعم أنه سقطت عنه التكاليف الشرعية، فسماعه لها حلال، لأنه قد وصل إلى درجة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال، فقال عنه الروذباري: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر[2].

وهذا الجنيد (ت٢٦٧هـ) المسمى عندهم « سيد الطائفة » يستنكر هذه الرعونات التي تصدر من بعضهم، ذلك أن رجلاً كان يصحبه في سفره، وكان الرجل إذا سمع شيئًا من الذكر يزعق، فقال

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص(٤٨٩).

(٢) انظر: الحلية (١٠/ ٣٥٦)، طبقات الصوفية ص(٨٧)، الطبقات الكبرى (١/ ١٠٦).

الجنيد: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني"[1].

وقال أبو حفص الحدَّاد (ت٢٦٠هـ): « إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة »[2].

وهذا عبدالقادر الجيلاني (ت٥٦١هـ) رحمه الله من كبار مشايخ الصوفية، رأى كراهية السماع وخالف رأيه ما عليه صوفية زمانه في السماع، فهو يقول: « وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهيته؛ إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم »[3].

وهذا السهرودي (ت٦٣٠هـ) وهو من أئمة الصوفية ومصنفيهم في كتابه: « عوارف المعارف » يرفض هذه الظاهرة المقيتة، وما يصاحبها من سلوكيات شاذة، فهو يقول: « إن أنصف المنصف، وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشبب بشبابته، وتصوره في نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النبي ﷺ، وهل استحضروا قوّالاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه، لاشك بأنه ينكر ذلك من حال الرسول ﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها »[4].

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ص(١٠٦).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٥١٩).

(٣) الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية) (٢/ ١٦٧).

(٤) عوارف المعارف ص(١٧٥).

كذلك ردَّ السهروردي في مصنفه « عوارف المعارف » حديث أنس -رضي الله عنه- في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي -والذي استدل به الصوفية واحتجوا به على التواجد أثناء السماع- بقوله: « فهذا الحديث أوردناه مسندًا كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئًا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صح -والله أعلم- ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدون على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك »[1].

ونقل عن الجريري الصوفي (ت٣١١هـ) قوله: « رأيت الجنيد في المنام فقلت: « كيف حالك يا أبا القاسم؟ » فقال: « طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات »[2].

وهذا أبو الحارث الفيض الأولاسي (ت٢٩٧هـ) يربط الرقص

(١) عوارف المعارف ص(١٨٩).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٥٦٥).

بإبليس وبفرحه مما حققه مع الصوفية المتعاطين له، يقول: « رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس[1] على يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليه ثياب نظاف، فقال لطائفة منهم: قولوا! فقالوا وغنَّوا فاستفزني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصيب شيئًا أدخل به عليكم إلا هذا »[2].

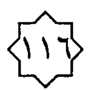
وعدَّ الطوسي -صاحب « اللمع » وهو أحد أئمتهم الكبار- أن هذا السماع هو سماع أهل الباطل فهو يقول: « سماع الأوتار والمزامير والمعازف والكونة والطبل سماع أهل الباطل، وهو المحظور المنهي عنه بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ »[3].

وقال أبو محمد الجريري وهو من أكابر مشايخ الصوفية: « من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حكم الشهوات محصورًا في سجون الهوى فحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه »، وذكر عند بعض العارفين

(١) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمى حصن الزهاد. انظر معجم البلدان (١/ ٢٨٢).

(٢) تلبيس إبليس ص(٢٥٠).

(٣) اللمع للطوسي ص(٣٤٨).



أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرَّارون من الله لو ناصحوا الله وصدقوا لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي »[1].

وقد ردَّ القشيري أحد أئمة الصوفية على غلاتهم في مسألة جواز النظر إلى الأمرد وقال قولاً عظيمًا في الرد عليهم وكشف فضائحهم قائلاً: « ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته، وأبدى سوأته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل »[2].

أيضًا هذا الواسطي وهو من كبار الصوفية يقول: « إذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف »[3].

هذه بعض أقوال أئمة ومشايخ الصوفية على أتباعهم فياليت الصوفية يستجيبون لكلام هؤلاء الأئمة الكبار، ويتركون هذا السماع ومتولداته من الصعق والرقص والزعق وتمزيق الثياب وغيرها، ويتركون الذكر المصاحب للطبل والمزمار والرقص والمعازف، بل ومصاحبة المردان والاختلاط أحيانًا بالنساء الأجنبيات!!، نعوذ بالله من البدع والفتن.

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٩٥-٩٦)، وانظر نزهة الأسماع ص(١٠١).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٣) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).



السماع في ميزان الشعر

كان للشعر والشعراء موقف المنكر لبدعة السماع عند الصوفية فهم الآخرون سطروا أجمل الشعر وأعذبه في إنكار هذه البدعة من خلال نقدهم لما رأوه من أفعال معاصريهم من هؤلاء وقد اتفقوا أو كادوا على أن هذه السلوكيات إنما يقوم بها صبيان أو مخانيث تشبهوا بالحمير والسكارى، وهي خارجة عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وإليك أخي القارئ هذه الأبيات الشعرية لتعيش معها لحظة أنس، ودعاءٌ لقائليها والدعوة بالهداية لمن وجهت إليه من عقلاء الصوفية، لعل الله أن يهدي بك رجلاً خير لك من حمر النعم.

نبدأ هذه الواحة الشعرية بقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا ... وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

وأنشد أبوبكر العنبري (ت٤١٢هـ) لنفسه في الصوفية:

تأملت اختبر المدعين ∴ بين الموالي وبين العبيد

فألفيت أكثرهم كالسراب ∴ يروقك منظره من بعيد

فناديت يا قوم من تعبدون ∴ فكل أشار بقدر الوجود

فبعض أشار إلى نفسه ∴ وأقسم ما فوقها من مزيد

وبعض إلى خرقة رقعت ∴ وبعض إلى ركوة من جلود

وآخــــــر يعبـــــد أهـــــواءه	∴	ومــا عابــد للــهوى بالرشـيد
ومجتهـــــد وقتــــه ريـــــه	∴	فـإن فـات بـات بليـل عنيـد
وذو كلــف باســتماع الــسماع	∴	بــين البـسط وبــين النـشيد
يـــئن إذا أوضـــمت رنـــة	∴	ويــزرأ منهــا زئـير الأسـود
يخـــرق خلقانـــه عامـــدًا	∴	ليعتـاض منهـا بثـوب جديـد
ويرمـــي بهيكلـــه في الـــسعير	∴	لقلـع الثريـد وبلـغ العـصيد
فيـــا للرجـــال ألا تعجبـــون	∴	لـشيطان إخوانـنـا ذا المزيـد
يخـــبطهم بفنـــون الجنـــون	∴	ومـا للمجـانين غـير القيـود
وأقـسم مـا عرفـوا ذا الجـلال	∴	ومـا عرفـوه بغـير الجحـود
ولـــولا الوفـــاء لأهـــل الوفـــاء	∴	ســـلقتهم بلـــسان حديـــد
فمـــالي يطـــالبني بالوصـــال	∴	مـن لـيس يعلـم مـا في الـصدود
اضـــن بـــودي ويـــسخو بـــه	∴	وقـد كنـت أسـخو بـه للـودود
ولكـــن إذا لم أجـــد صـــاحبًا	∴	يـسر صـديقي ويـشجو الحـسود
عطفـــت بـــودي مـــني إليـــه	∴	فغـاب نحوسـي وآب الـسعود
فمـا بـال قـومي علـى جهلـهم	∴	بعــز الفريــد وأنــس الوحيــد
إذا أبـــصروني بكـــرا رحمـــة	∴	ونــيران أحقــادهم في وقــود
لأنـــي بعـــدت عـــن المدعيـــن	∴	ولـو صدقوا كنت غير البعيـد(١)

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(٣٧٦-٣٧٧).



وأنشد الحسن بن علي بن يسار:

رأيت قومًا عليهم سمة الخير ∴ بحمل الركآء مبتهلة
اعتزلوا الناس في جوامعهم ∴ سألت عنهم فقيل متكله
صوفية للقضاء صابرة ∴ ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الناس ∴ ومن دون هؤلاء رزله
فلم أزل خادمًا لهم زمنًا ∴ حتى تبينت أنهم سفله
إن أكلوا كان أكلهم سرفا ∴ أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرًا ∴ عن فرضه لا تخاله عقله
وأسأله عن وصف شادن غنج ∴ مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم إذا جلسوا ∴ كعلم راعي الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة ∴ والبرهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كي يروا صلحا ∴ وهم شرار الذباب والحفله
وجانبوا الكسب والمعاش لكي ∴ يستأصلوا الناس شرها أكله
وليس من عفة ولا دعة ∴ لكن تعجيل راحة العطله
فقل لمن مال باختداعهم ∴ إليهم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ∴ ولا تعاود لعشرة الجهلة[1]

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(٣٧٧-٣٧٨).

وقال الصنوري:

أهـل التـصوف قـد مـضوا ∴ صـار التـصوف مخرقـة

صـار التـصوف صـيحة ∴ وتواجـدًا ومطبقـة

كـذبتك نفـسك لـيس ذا ∴ سـنن الطريـق الملحقـة

حتـى تكـون بعـين مـن ∴ منـه العيـون المحدقـة

تجـري عليـك صـروفه ∴ وهمـوم سـرك مطرقـة[1]

وقال أبوإسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم:

أرى جيل التصوف شر جيل ∴ فقـل لهـم واهـون بـالحلول

أقـال الله حـين عـشقتموه ∴ كلوا أكل البهائم وأرقصوا لي[2]

وأنشد البنا السرقسطي:

ولـيس يحتـاج إلى الـسماع ∴ إلا أخـو الـضعف القـصير البـاع

والزعقـات منـه والتمزيـق ∴ ضـعف، وهـزّ الـرأس والتـصفيق

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(٣٧٨).

(٢) انظر: المرجع نفسه ص(٣٧٨).



وألقى الأخضري اللائمة على الصوفية الذين يرقصون وينبحون ويصيحون حيث قال:

وقــال بعــض الــسادة المتبعــة ∴ في رجـــز يهجـــر المبتدعـــة
ويـــــذكرون اللَّهَ بــــالتغبير ∴ ويــشطحون الــشطح كــالحمير
وينبحـــون النـــبح كـــالكلاب ∴ طـريقهم لـيس علـى الـصواب
ولـيس فـيهم مـن فتـى مطيـع ∴ فلعنـــة اللَّهِ علـــى الجميـــع

وقال أيضًا:

أبقوا من اسم اللَّهِ حـرف الهـاء ∴ فألحـــدوا في أعظـــم الأســـماء
لقـــد أتـــوا والله شـــيئًا إدًّا ∴ تخـــرُّ منـــه الـــشامخات هـــدًّا

وذمهم آخر بقوله:

الـرقص نقـص والـسماع رقاعـة ∴ وكـذا التواجـد خفـه بـالرأس
والله مـا رقـصوا لطاعـة ربهـم ∴ بـل للـذي طحنـوه بالأضـراس

وقال آخر أيضًا بذمهم، ويخص منهم من جعل العمائم الخضر علامة الشرف في النسب، يقول:

أقــال اللَّهُ صــفق لــي وغنــى   وســم الــرقص والتــصفيق ذكــرا
فلو كان السيادة فـي اخضــرار   لكــان الساق أشرف منـك قدرًا

وقال أبو عبدالله ابن الطوبي الصقلي:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعة ∴ ولا بكـاءك إن غنـى المغنونـا

ولا صياح ولا رقص ولا حراب ∴ ولا تغاش كأن قد صرت مجنونًا

بل التصوف أن تصفوا بـلا كـدر ∴ وتتبـع الحـق والقـرآن والـدنيا

وأن تـرى خائفـًا لله ذا نـدم ∴ على ذنوبك طول الدهر محزونًا

وقال شاعر آخر:

أيـا جـيلاً تـصوَّف عـن فـضول ∴ تنـاقلتم جهـولاً عـن جهـول

أفي القـرآن قـال الله يومًـا ∴ كلوا أكل البهائم وارقصوا لـي!!

وفي إغاثة اللهفان لابن القيم قال القائل:

بَرئنـا إلى الله مـن معـشر ∴ بهـم مـرضٌ مـن سمـاع الغنـا

وكم قلتُ: يـا قـوم، أنـتم على ∴ شـفا جُـرُفٍ مـا بـه مـن بِنَـا

شـفا جـرفٍ تحتـه هـوَّة ∴ إلى دَرَكٍ، كـم بـه مـن عَنَـا

وتكـرارُ ذا النـصح مِنَّـا لهـم ∴ لنُعْـذِر فـيهم إلى ربنـا

فلمـا اسـتهانوا بتنبيهنـا ∴ رجعنـا إلى الله في أمرنـا

فعِـشْنَا علـى سُـنَّةِ المـصطفى ∴ ومـاتوا علـى تِنْتنـا تِنْتنـا

أيضًا في إغاثة اللهفان، قال ابن القيم:

جعلوا السماع مطيةً لهواهُمُ ∴ وغلوا فقالوا فيه كل محال
هو طاعة، هو قربة، هو سنة ∴ صدقوا لذاك الشيخ ذي الإضلال
شيخ قديم، صادهم بتحيل ∴ حتى أجابوا دعوة المحتال
ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى ∴ من أوجهٍ سبعٍ لهم بتوال
هجروا له القرآن والأخبار والآثار ∴ إذ شهدت لهم بضلال
تالله ما ظفر العدو بمثلها ∴ من مثلهم، واخيبة الآمال
نصب الحبال لهم، فلم يقعوا بها ∴ فأتى بذا الشرك المحيط البالي
فإذا هموا وسط العرين ممزقي ∴ الأثواب، والأديان والأحوال
لا يسمعون سوى الذي يَهْوونه ∴ شغلاً به عن سائر الأشغال
ودعوا إلى ذات اليمين فأعرضوا ∴ عنها، وسار القومُ ذات شِمال
خروًا على القرآن عند سماعه ∴ صُمًّا، وعميانًا ذوي إهمال
وإذا تلا القاري عليهم سورة ∴ فأطالها، عدُّوه في الأثقال
ويقول قائلهم: أطلتَ، وليس ذا ∴ عشرٌ، فخفف، أنت ذو إملال
هذا، وكم لغوٍ، وكم صخبٍ، وكم ∴ ضحكٍ بلا أدب، ولا إجمال
حتى إذا قام السماع لديهم ∴ خشعت له الأصوات بالإجلال
وامتدت الأعناق، تسمع وحي ذاك ∴ الشيخ من مترنمٍ قوّال
وتحركت تلك الرؤوس، وهزها ∴ طربٌ، وأشواق لنيل وصال
فهنالك الأشواق والأشجان والأحوال ∴ حوال، لا أهلاً بذي الأحوال

تـالله لـو كانـت صَحاةً أبـصروا ∴ مـاذا داهـاهم مـن قبـيح فعـال
لكنَّمـا سُـكرُ الـسماعِ أشـد مـن ∴ سـكر المـدام، وذا بـلا إشـكال
فـإذا همـا اجتمعـا لـنفس مـرةً ∴ نالـت مـن الخـسران كـل منـال
يـا أمـةً لعبـت بـدين نبيهـا ∴ كتلاعـب الـصبيان في الأوحـال
أشمتُّمُـوا أهـل الكتـاب ديـنكم ∴ والله لـن يرضـوا بـذي الأفعـال
كـم ذا نُعَيَّـر مـنهمُ بفـريقكم ∴ سـرًّا وجهـرًا عنـد كـل جـدال
قـالوا لنـا: ديـنٌ عبـادةُ أهلـه ∴ هذا السماع، فـذاك ديـن محـال
بـل لا تجـيء شـريعة بجـوازه ∴ فـسلوا الـشرائع تكتفـوا بـسؤال
لو قلتمُوا فِسق، ومعصية وتزيينٌ ∴ مـن الـشيطان للأنـذال
ليـصُدَّ عـن وحـي الإلـه ودينـه ∴ وينـال فيـه حيلـة المحتـال
كُنَّـا شـهدنا أن ذا ديـنٌ أتـى ∴ بالحق، دين الرسـل، لا بـضلال
والله منهم قـد سمعنـا ذا إلى الآذان ∴ مـن أفـواههم بمقـال
وتمام ذاك القـول بالحيـل الـتي ∴ فسخت عقود الدين فسخ فـصال
جعلته كـالثوب المُهَلْهَـلِ نـسجه ∴ فيـه تفـصله مـن الأوصـال
ماشئتَ من مكر، ومن خِدع، ومن ∴ حيـل، وتلبـيس بـلا إقـلال

وقال ابن القيم رحمه الله عن السماع الصوفي:

هذا السماع الشيطاني المضادُّ للسماع الرحماني، له في الشرع بِضعة عشر اسمًا: اللهـو، واللغـو، والباطـل، والـزور، والمكـاء، والتـصدية،

ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومُنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسُّمود.

أسماؤه دلت على أوصافه ∴ تباً لذي الأسماء والأوصاف

فنذكر مخازي هذه الأسماء، ووقوعها عليه في كلام الله ﷻ وكلام رسوله، والصحابة، ليعلم أصحابه وأهله بما به ظفروا، وأيّ تجارة رابحة خسروا:

فدع صاحب المزمار، والدفِّ والغنا ∴ وما اختاره عن طاعة الله مذهبا
ودعه يعش في غنيه وضلاله ∴ على تاتِنا يحيا ويبعث أشيبا
وفي تنتنا يوم المعاد نجاته ∴ إلى الجنة الحمراء، يُدعى مقربا
سيعلم يوم العرض أي بضاعة ∴ أضاع، وعند الوزن ما خف أو ربا
ويعلم ما قد كان فيه حياته ∴ إذا حصلت أعماله كلها هبا
دعاه الهدى والغيُّ من ذا يجيبه؟ ∴ فقال لداعي الغيّ: أهلاً ومرحبا
وأعرض عن داعي الهدى، قائلاً له: ∴ هواي إلى صوت المعازف قد صبا
يراعٌ، ودُف بالصنوج، وشاهد ∴ وصوت مغنٍّ، صوته يقنص الظبا
إذا ما تغني فالظُباء تجيبه ∴ إلى أن تراها حوله تُشبه الدِّبا
فما شئت من صيدٍ بغير تطارد ∴ ووصل حبيب كان بالهجر عذبا
فيا آمري بالرشد، لو كنت حاضرًا ∴ لكان توالي اللهو عندك

وقد قيل -عن هذا السماع- في إغاثة اللهفان:

فسل ذا خبرةٍ يُنبيك عنه ∴ لتعلمَ كم خبايا في الزوايا
وحاذر إذ شُغِفت به سِهامًا ∴ مُرَيَّشةً بأهدابِ المنايا
إذا ما خالطت قلبًا كئيبًا ∴ يقلب بين أطباق الرزايا
ويُصبح بعد أن قد كان حرًا ∴ عفيف الفرج عبدًا للصبايا
ويُعطي من به يُغني غناء ∴ وذلك منه من شر العطايا

وقال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان، وهو يصف من اصطاده الشيطان في هذا السماع البدعي: « وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهزهة والفَرْقَعة بالأصابع، فيميل برأسه، ويهُزُّ منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدقُّ على أمِّ رأسه بيديه، ويثِبُ وثبات الدِّباب، ويدور دوران الحمار حول الدُّولاب، ويُصَفِّق بيده تصفيق النسوان، ويَخُور من الوَجْد كخوران الثيران، وتارة يتأوه تأوّه الحزين، وتارة يَزْعَق زَعَقات المجانين، ولقد صدق الخبيرُ به من أهله حيث يقول:

أتذكرُ ليلةً وقد اجتمعنا ∴ على طيب السماع إلى الصباح؟
ودارت بيننا كأسُ الأغاني ∴ فأسكرتِ النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى ∴ سرورًا، والسرور هناك صاحي
إذا نادى أخو اللذات فيه ∴ أجاب اللهوُ حيٌّ على السماح
ولم نملك سوى المهجات شيئًا ∴ أرقناها لألحاظ المِلاح

ونظم السفناقي صاحب النهاية في رسالته في ذم المتصوفة قائلاً:

أيا جيل التصوف شرّ جيل ∴ لقد جئتم بأمر مستحيل
أقال الله في القرآن فيكم ∴ كلوا مثل البهائم وارقصوا لي؟!
أيرقص من له عقل ودين ∴ كدبٍ بالدفوف وبالطبول
نقضتم إذ رقصتم قد خرجتم ∴ لدى أهل الشهادة عن عدول
فما من أحد صوفي إلا ∴ لذي بدع وذي الأهواء قال
ووجدٌ لا يحوِّزه كتابٌ ∴ وسنة فلغو ذو افتعال
وإن سئلوا بضرب الدف له ∴ أو أذن عنه بالضرب المقول
وإنا قد أمرنا أتركوهم ∴ على ما هم من أفعال السفول[1]

ونظم إبراهيم الحليبي (ت سنة ٩٥٦هـ) في ذم الصوفية قائلاً:

الذكر ريحانة القلوب ∴ والرقص من أقبح العيوب
وكيف أدنوا إلى حبيبي ∴ بكخٍ وكخّ وكح كوب
لو كان ذا الرقص فرض ربي ∴ أو سنة المصطفى الحبيب
رقصت طوعاً على دماغي ∴ فضلاً عن الرجل والقضيب
لكنه بدعة وإثم ∴ لم يرض للعاقل اللبيب[2]

---

(١) انظر: الصاعقة المحرقة ص(٤١-٤٣).

(٢) انظر: الصاعقة المحرقة ص(٤٣).

ونظم شرف الدين المقري اليمني (ت٨٣٧هـ) في ذم الرقص عند الصوفية قائلاً:

قالوا: رقصنا كما الأحُبوش قد رقصوا ∴ بمسجد المصطفى، قلنا: بلا كذبِ
الحُبْشُ ما رقصوا، لكنهم لعبوا ∴ من آلةِ الحرب بالآلات واليَلَب
وذلك اللعب مندوبٌ تعلُّمه ∴ في الشرع للحرب تدريبًا لكل غبي[1](*)

---

(١) انظر: الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي ص(٤٢).

(*) وفي عصرنا هذا ظهر ما يُعرف بـ « الأناشيد الإسلامية » سلبت عقول شباب الأمة نساءً ورجالاً وخاصة فئة الشباب منهم، لم تُعرف من ذي قبل عند سلف الأمة، وهي وإن خلت من الآلات الموسيقية؛ إلا أن فيها من الفتنة ما الله به عليم، من نعومة ورقة في الصوت وميوعة في الأداء، تصاحبها في ذلك المؤثرات الصوتية الحديثة الفاتنة التي تزيد من إثارة الغرائز التي قد تجر صاحبها إلى ارتكاب ما حرم الله. وهي لا تعدو شبيهة بما يقوم به المنشد عند الصوفية من تأوهات، ولعل في أداء الشعر العربي الموزون المنضبط الخالي من هذه المؤثرات المهيجة غُنية عن ذلك كله. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على سيد المرسلين، محمد النبي، وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا إلى يوم الدين أما بعد:

فقد تناولنا في هذا الكتاب قضية من أهم قضايا السلوك عند الصوفية هي « السماع » وقد عرضنا شبهتهم في هذه القضية من خلال أقوال مشايخهم ومصنفيهم، ووقفنا على أهم آثار ومتوالدات هذا السلوك، وكان من أهمها، الرقص والصعق والزعق واللطم وتمزيق الثياب... وغيرها.

ثم أعقبنا ذلك بسلوك آخر لا ينفك عن الأول هو « الذكر » ويقصدون بذلك « عبادة الذكر »، وهذا السلوك ملازم للسماع عندهم، بل هو أحد بواعثه، ثم عرفنا كيف أقدموا على سلوك آخر يصادم الفطرة؛ هو اعتقادهم بجواز النظر إلى الأمرد والنسوة، بحجة الاعتبار وزيادة الإيمان.

لهذا فإن الذكر عند الصوفية، والنظر إلى الأمرد من ركائز السماع ومقوماته وباعث من بواعثه.

وخلاصة اعتقادهم في السماع، أنه دين وقربة وطاعة لله!! -كذا



زعموا-، بعد هذا العرض لشبهات الصوفية حول السماع وبواعثه ومتولداته عرفنا موقف علماء الأمة إزاءها بادئين ببيان الحكم الشرعي الذي اعتبر هذه السلوكيات في ميزانه بدعًا في خضم بدع الصوفية الكثيرة.

وتواترت الردود والإنكارات على هذه البدع والتي جاءت مفندة إياها باعتبارها من المحدثات والمبتدعات في الدين.

والذي يلفت الانتباه أن تلك الردود والانتقادات والإنكارات جاءت من كل مصر وفي كل عصر، وهي تجسِّد وحدة منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم.

ولما كان لا بد للشعر أن يقول كلمته؛ فكان لا بد من تخصيص حيزًا للشعر والشعراء الذين فندوا هذه البدعة وشنعوا على أهلها.

وختامًا، ومن باب النصيحة، أوجه ندائي إلى مؤسساتنا التعليمية والإعلامية بتكريس تدريس العقيدة الصحيحة، وبيان ما يضادها من أنواع البدع والخرافات، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى إلى هؤلاء الصوفية وخاصة العقلاء منهم والمعتدلين بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ العودة إلى الحق وأهله، العودة إلى حياض الدين، ونبذ دواعي الاختلاف والفرقة؛ حتى لا يكونوا أداء طيعة في يد أعداء الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والله الهادي إلى سواء السبيل



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



الموضـــوع	الصفحة